وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of higher education and scientific research
جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي - تبسة
Echahid Cheikh Larbi Tebessi University- Tebessa
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
faculty of humanities and social sciences

قسم : التاريخ والآثار

تخصص : تاريخ الثورة الجزائرية

مذكرة ماستر تحت عنوان

الفكر الوطني في فكر النخب السياسية المغاربية:

مصالي الحاج وعبد العزيز الثعالبي

دراسة مقارنة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر L.M.D

من إعداد الطالبتين:

- نزيهة معطوب
- هدى عطية

إشراف الأستاذ:

- أ. زكرياء العابد

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
د/ صالح عسول	محاضر- أ -	رئيسا
أ/ زكرياء العابد	مساعد – أ -	مشرفا ومقررا
د/ عبد الحفيظ عبد الحي	محاضر– ب -	عضوا ممتحنا

السنة الجامعية 2022 / 2023

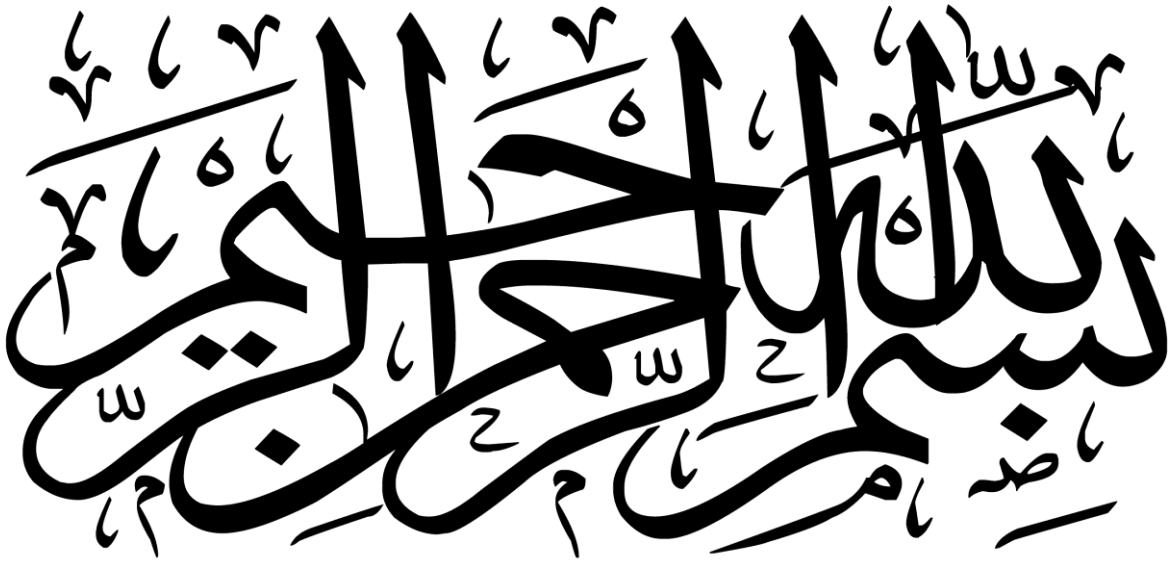
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير:

جاء في تنزيل الحكيم: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

نحمد الله حمدا كثيرا وشكرا جزيلا

لأنه يسّر لنا أمورنا وأعاننا على إتمام هذا العمل المتواضع

يسعدنا أن نتقدم بعميق الشكر وخالص التقدير إلى أستاذنا الفاضل

"العابد زكرياء" الذي أشرف علينا طيلة إنجاز هذا البحث بنصائحه القيمة.

كما نتقدم بالشكر الجزيل

إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث

والشكر موصول إلى أساتذة الكرام في قسم كلية العلوم الإنسانية

الذين تعلمنا على أيديهم كيف يكون البحث بحثا والعلم علما

في إنجاز هذا البحث.

إهداء:

إلى من سقتني من نبع حنانها الفيّاض

مصدر العطف الذي رعاني وحضنني

"أمي الغالية" أطال عمرها **"الزهرة"**

إلى من كان لي نعم السند

"أبي الغالي" أطال عمره **"حسين"**

إلى من كان له الفضل الكبير في مواصلة تحصيلي العلمي

"إخواني الأعزاء" .. **"خير الدين، سيف الدين"**

إلى من ذقت معهم في كنف حياتي طعم السعادة

"أخواتي".. **"سمرة، نورة، وصال"** وزوجة أخي **"سليمة"**

إلى **"إخواني الأعزاء"**.. **"كريم، بلال، الشريف، وائل"**

إلى رمز البراءة والصفاء وبراعم الأسرة" **إسراء، لقمان"**

إلى كلّ من علّمني حرفا في كلّ مراحل التعليم

إلى جميع زملاء دفعتي

إلى رفيقة دربي التي تكبّدت معي مشقة هذا العمل وعنائه

العزيزة والصديقة **"وصال معطوب"**

ولا أنسى فضل أختي وصديقتي" **إلهام معطوب"**

وكذلك فضل " **خلود معطوب"** وفقها الله في مشوارها الدراسي

إلى كلّ من يحبهم قلبي ولم يذكرهم لساني

أهدي ثمرة جهدي.

نزيهة

إهداء:

إلى من بوركت قدماها فتحتها الجنان إلى واحة
الدفء والحنان
إلى الملاك الذي لا يحتاج ولا يطلب المقابل غير أن اكون
كما يجب ولم تتوقف يوما عن الدعاء لي بالتوفيق
إلى والدتي وأمي الحبيبة الغالية **"مبروكة"**
إلى زوجة أبي الغالية **"دليلة"**
إلى من علمني ان حياة الكفاح يكون الانتصار فيها نجاح،
الى من اعطاني ولا يزال يعطيني الى ينبوع الحنان
الذي زرع في نفسي الطموح والمثابرة وعلمني أن لا شيء ينال دون تعب
ابي الغالي وسندي **"عمار"** حفظه الله،
الى رفيق دربي وحياتي زوجي الغالي" **سفيان**".
الى من يحملون في عيونهم ذكريات طفولتي وشبابي
الى من اقتسمتم معهم حلو الحياة ومرها الى تذوقت معهم اجمل اللحظات
الى اخوتي واخواتي
" **علي، طارق، لؤي، صفوان، اسمهان، امال، سعاد، حياة، نفيسة، رنيم**".
إلى رموز البراء في العائلة:" **آدم، رتاج، آسينات، رفيف، عدي**"
الى من لاقتني بهم الأقدار وجمعتني بهم المحبة **أهل زوجي**
الى الارواح الطاهرة والزكية جدتي" **نفيسة**" و " **ربحية** " رحمهما الله.
فنحمدك اللهم ونشكرك كما ينبغي وجهك.

هدى

قائمة الاختصارات:

المختصرات	الكلمات
باللغة العربية	
ع	عدد
ج	جزأ
ط	طبعة
د. ط	دون طبعة
تر	ترجمة
مج	مجلد
م	ميلادي
هـ	هجري
د.س	دون سنة
ط. م	طبعة منقحة
تع	تعقيب
تق	تقديم
ص	صفحة
د. ص	دون صفحة
باللغة الفرنسية	
جبهة التحرير الوطني	FLN
Ed	Editions
P	Page

فهرس الموضوعات:

المحتوى	الصفحة
الشكر	-
الإهداء	-
قائمة المختصرات	-
مقدّمة.....	أ
ضبط مدلول بعض المصطلحات.....	8
مدلول الفكر الوطني	8
مدلول النخب السياسية	10
الفصل الأول: عوامل ظهور النخب السياسية في الجزائر وتونس	13
المبحث الأول: العوامل الداخلية	13
المبحث الثاني: العوامل الخارجية	18
المبحث الثالث: تأثير الثقافة الاستعمارية	22
الفصل الثاني: ترجمة لشخصية مصالي الحاج	27
المبحث الأول: نشأته وتكوينه.....	27
المبحث الثاني: نضاله السياسي	32
المبحث الثالث: أفكاره وآثاره	39
الفصل الثالث: ترجمة لشخصية عبد العزيز الثعالبي	45
المبحث الأول: نشأته وتكوينه.....	45
المبحث الثاني: نضاله السياسي	53
المبحث الثالث: أفكاره وآثاره	71
الفصل الرابع: المقارنة بين الشخصيتين.....	82
المبحث الأول: موقف مصالي الحاج وعبد العزيز الثعالبي من الاحتلال الفرنسي.....	82
المبحث الثاني: دفاعهما عن القضية الوطنية لبلديهما.....	85
المبحث الثالث: موقفهما من القضايا العربية والاسلامية	88
خاتمة.....	97
الملاحق.....	100
قائمة المصادر والمراجع.....	111

مقدّمة

مقدّمة:

- **التعريف بالموضوع:**

قاوم الجزائريون والتونسيون الاستعمار الفرنسي منذ الوهلة الاولى التي وطأت فيها اقدام المحتل اراضي البلدين رغم اختلاف طبيعة الاحتلال. واستعملوا في ذلك شتى الطرق الممكنة خاصة المقاومة المسلحة التي لم يكتب لها النجاح في أول الأمر، نظرا للأساليب والطرق الوحشية التي مارسها العدو من اجل البقاء والمحافظة على مكاسبه ومصالحه الكبيرة في المنطقة.

ومع ظهور الفكر الوطني الاستقلالي في العالم والذي لاقى صدى واسعا في اوساط المجتمعات الخاضعة للاستعمار، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية.

قامت شخصيات عديدة كأحمد مصالي الحاج في الجزائر وعبد العزيز الثعالبي في تونس، بتبني هذا الفكر وعملت على نشره بهدف الوقوف في وجه المحتل وكشف مخططاته الدنيئة، وزرع الروح الوطنية في شعوبها حتى تكافح من اجل المطالبة بحقها في الحرية.

وهكذا شكل نشاط هذه النخب الية جديدة للنضال ضد السياسة الاستعمارية الرامية الى تحقيق الغزو الثقافي والفكري وطمس جميع عناصر الهوية الوطنية بعد ان حسمت الغزو العسكري الاستيطاني. وكان لها الدور البارز في التعريف بقضايا الامة والتكلم بلسانها والتخطيط للنهوض بها واخراجها من ظلمات الاستعباد والاحتلال الى نور الحرية والاستقلال.

- **أهمية الموضوع:**

يكتسي هذا الموضوع أهمية كونه يعالج موضوعا فكريا مرتبطا بعقيدة النخب المثقفة في كل من الجزائر وتونس وارتباطه بالفكر الوطني السياسي والاستقلالي لكل من الزعيمين أحمد مصالي الحاج وعبد العزيز الثعالبي، بحيث تبنى كل واحد منهما فكرة الاستقلال و دعا إليها وناضل دونها باعتبارها حق طبيعيا وعملا مناهضا للعبودية والاحتلال.

- **أسباب اختيار الموضوع:**

تعود أسباب اختيارنا لهذا الموضوع إلى أسباب ذاتية وموضوعية نوجزها في ما يلي:

➢ **الأسباب الذاتية:**

– الرغبة في انجاز عمل يجمع البلدين الشقيقين الجزائر وتونس بحكم علاقة الجوار والانتماء الحضاري المشترك.

- تشوقنا للتعرف على أهم الصفات والميزات التي اتصفت بها هذه الشخصيات الوطنية والتي أوصلتها إلى مصاف النخبة الثقافية وجعلتها على رأس زعامتها.
- التوصل إلى أهم الانجازات العظيمة التي خلدت كلا الزعيمين أدخلتهم التاريخ من أوسع أبوابه بع أن ساهموا في الوقوف في وجه الاستعمار ومقاومته.

➢ **الأسباب الموضوعية:**

- تقديم مساعدة متواضعة في مجال الدراسات العلمية حول شخصيتين هامتين لعبتا دورا مهما في تاريخ الجزائر وتونس وتسليط الضوء عليهما.
- الرغبة في إثراء مكتبتنا بمذكرة جديدة حول الفكر الوطني السياسي في كل من الجزائر وتونس من خلال دراسة أهم رواد الحركة الوطنية في كلا البلدين.

- **إشكالية الموضوع:**

من أجل التعمق في دراسة حيثيات الموضوع ومعرفة تفاصيله طرحنا الاشكالية التالية:

❖ إلى أي مدى ساهمت أفكار مصالي الحاج وعبد العزيز الثعالبي في نشأة وتطور النخب السياسية في كل من الجزائر وتونس؟ وهل كان دورها دافعا ومشجعا لتيار الاستقلال والحرية أم مثبطا ومعرقلا لفكر المقاومة؟

وللإجابة عن هذه الاشكالية طرحنا عدة تساؤلات فرعية أهمها:

ـ فيما تمثلت الأوضاع التي كانت سائدة في بيئة كل من الزعيمين؟ وهل كان لها أثر في بلورة فكريهما؟

ـ ما هي العوامل التي مهدت إلى ظهور هذه النخب السياسية؟

ـ بما تميزت حياة مصالي الحاج وعبد العزيز الثعالبي؟

- **خطة البحث:**

للإجابة على هذه الإشكالية والتساؤلات الفرعية ارتأينا إلى تقسيم موضوعيا إلى: مقدّمة وفصل تمهيدي وأربع فصول رئيسية إضافة إلى خاتمة وملاحق ببليوغرافية وهذه العناصر تتصل اتصالا مباشرا ووثيقا بالموضوع ويمكن تحديد عناصر خطة المذكرة كالآتي:

➢ **الفصل التمهيدي:** تضمن النقاط الآتية:

- ضبط مدلول الفكر الوطني.
- مدلول النخب السياسية.

- **الفصل الأول:** والذي جاء تحت عنوان عوامل ظهور النخب السياسية في الجزائر وتونس: تطرقنا فيه إلى عوامل ظهور النخب السياسية الداخلية والخارجية في كلا البلدين، وتأثير الثقافة الاستعمارية على هاته النخب.
- **الفصل الثاني:** الذي عنون ب : ترجمة لشخصية مصالي الحاج، تطرقنا فيه إلى نشأة وتكوين مصالي الحاج ونضاله السياسي وأفكاره وآثاره.
- **الفصل الثالث:** المعنون بـ النزعة الوطنية عند عبد العزيز الثعالبي، حيث تضمن نشأة وتكوين مصالي الحاج ونضاله ونشاطه السياسي وأفكاره وآثاره.
- **الفصل الرابع:** تطرقنا فيه إلى موقف الزعيمين من الاحتلال الفرنسي، ودفاعهما عن القضية الوطنية لبلديهما، وموقفهما من القضايا العربية والإسلامية.

وأنهينا بخاتمة شملت حوصلة لأهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال تطرقنا لهذا الموضوع وملاحق وقائمة للمصادر والمراجع.

- **المنهج المتبع:**

إن التطرق إلى شخصية مصالي الحاج وعبد العزيز الثعالبي ودورهما الفكري والنضالي جعلنا نتبع مختلف مناهج البحث العلمي المعروفة في مجال الدراسات التاريخية، وهي المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي والمنهج المقارن، حيث تعرضنا إلى سيرة هاتين الشخصيتين البارزتين وموقفهما الفكري والسياسي.

- **المنهج التاريخي الوصفي:** وقد سلكناه لوصف سيرة مصالي الحاج وعبد العزيز الثعالبي والبيئة التي نشأ فيها والتي شكلت جلّ أفكارهما وآرائهما.
- **المنهج التحليلي:** وهو منهج أساسي في الدراسات الأكاديمية، وقد سلكناه في تحليل أفكار الموضوع من بينها المواقف التي صدرت عن الشخصيتين طيلة فترة نضالهما، ومدى تأثير بيئتهما على فكريهما.
- **المنهج المقارن:** استخدمناه للمقارنة بين سيرة الزعيمين وأفكارهما ونضالهما لتحديد أوجه الشبه والاختلاف في جوانب عديدة من تاريخ الشخصيتين والمقاربة بين أفكارهما وتصوراتهما لسبل تحقيقها، وهذا ما سهّل علينا مهمة الاستخلاص والاستنتاج.

- **الدراسات السابقة:**

من أهم الدراسات السابقة التي تناولت موضوع دراستنا نذكر:

ـ محمد السعيد عقيب: الحزب الحر الدستوري التونسي القديم (1934-1936) رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2010.

ـ طرفاوي أحمد: عبد العزيز الثعالبي وبعض قضايا فكره من خلال مؤلفاته (1875-1944) رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر 2، 2012.

ـ جيجك زروق: النخب في الجزائر، مصالي الحاج وفرحات عباس دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، مجلّة آفاق فكرية، جامعة سطيف 2، ع 2، مارس 2015.

ـ أحمد غريسي وعبد الوهاب شلالي: النضال السياسي لدى عبد العزيز الثعالبي ومصالي الحاج، المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية، مج 13، ع 1، جانفي 2021.

- **مصادر ومراجع الدراسة:**

اعتمدنا على مصادر ومراجع متنوعة تناولت موضوعنا من عدة جوانب يمكن أن نشير هنا إلى هذه المصادر والمراجع بحسب الأهمية، بالنسبة إلى المصادر اعتمدنا على كتاب مذكرات مصالي الحاج (1898_ 1938) للحاج مصالي في حدّ ذاته حيث تحدّث فيها بالتفصيل عن نشأته وبداية نشاطه السياسي خاصّة حزبه نجم شمال إفريقيا، مصالي الحاج رائد الوطنية (1898_ 1947) للكاتب بنيامين سطورا والتي خدمتنا كثيرا كدراسة سابقة حول شخصية مصالي الحاج. كتاب تونس الشهيدة لعبد العزيز الثعالبي لقد أفادنا في الاطّلاع على أوضاع تونس في مختلف المجالات حيث قدّم من خلال هذه الدراسة مقارنة لوضع البلاد قبل الحماية وبعدها وما نتج عنها، بالإضافة إلى المطالب التونسية التي قدمها عبد العزيز الثعالبي إلى الحكومة الفرنسية، أدرجها المحقق سامي الجندي في دراسته عن الحركة الوطنية التونسية، بالإضافة إلى حياة عبد العزيز الثعالبي ونشاطه السياسي، كتاب عبد العزيز الثعالبي وأخباره في المشرق والمغرب وفيه جمع صالح الخرفي عددا من المقالات التي كتبتها الصحف والمجلّات سواء في المشرق أو في المغرب بشكل عام وخاصة في تونس بحسب عبد العزيز الثعالبي كما جمع عديد من المقالات كتبها الثعالبي.

أمّا عن المراجع فكانت كثيرة كلّها خدمتنا في الموضوع ومن أهمّها: تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، بشير بلاح، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين 1919- 1939 ليوسف مناصريه، تاريخ تونس المعاصر لأحمد القصاب، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1958 لصاحبها الطاهر عبد الله، ومراجع أخرى باللغة الأجنبية، وبعض المجلات، وكتب أخرى لا يسعنا ذكرها في هذا الموضوع.

- **الصعوبات:**

لقد واجهتنا بعض الصعوبات التي يعاني منها كل الطلبة أثناء إنجاز أعمالهم الدراسية، نذكر منها:

ـ ضيق مدة إنجاز البحث والتي ذهب جلها في البحث عن المصادر والمراجع.

ـ عدم توفر العديد من المؤلفات الهامة خاصة المتعلقة بعبد العزيز الثعالبي، وفي حالة توفرها صعوبة التنقل لاقتنائها.

ـ صعوبة الدراسة لاعتمادها على رصد أوجه التشابه والاختلاف للنزعة الفكرية لكلا الزعيمين والمقارنة بينهما.

وفي الأخير لا ندعي أننا ألممنا بجميع جوانب البحث، مع أننا كنا نأمل أن نفيض فيه قدر الإمكان، ونرجو أن تكون هذه المساهمة المتواضعة لم يجانبها الصواب في معظم جوانبها.

ضبط مدلول بعض المصطلحات

I. مدلول الفكر الوطني:

الفكر لغة: بكسر الفاء أو فتحها، إعمال النظر في الشيء، أو إعمال الخاطر في الشيء وهو العقل، وقيل هو تردد القلب في الشيء، يقال تفكر إذا ردد قلبه معتبرا، والجمع أفكار، والتفكير هو التأمل.

الفكر اصطلاحا: فله معنيان، أحدهما عام والثاني خاص.

فالمعنى العام: يطلق على كلّ ظاهرة من ظواهر الحياة العقلية ومناط الفكر هو العقل

أما المعنى الخاص: هو إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها[1].

تعريف الفكر:

لغة: هو تردد القلب وتأمله، قال ابن فارس: "الفاء، الكاف، والراء، تردد القلب في الشيء، يقال: تفكر إذا ردد قلبه معتبرا، رجل فكّر جولان تلك القوة بحسب فكر العقل وذلك للإنسان دون الحيوان.

اصطلاحا: المراد به فرك الأمور وبحثها، طلبا للوصول إلى حقيقتها، بمعنى تمحيص الأمور والتدقيق فيها رغبة للوصول إلى المطلوب.

ويعني هذا إن الفكر هو أعمال العقل بالنظر والتأمل والتمحيص للوصول إلى الهدف المطلوب[2].

وعليه تتجلى قيمة الفكر الوطني في تكثيف جهود التوعية وتثبيته في أذهان المجتمع الرافض للانفصال عن هويته وعقيدته الإسلامية السمحة.

إنّ العزم الذي كان له أثر كبير في نشر الوعي توج بإكليل الحرية واستعادة الكرامة، وهو هدف نبيل خلد بأحرف من ذهب في سجل أعظم الثورات.

مفهوم النخبة:

- **المدلول اللغوي والاصطلاحي للنخبة:**

1. من الناحية اللغوية:

النخبة مثل النجبة والجمع "نخب" كرطبة ورطب يقال جاء في نخب أصحابه أي في خيارهم[3].

1_ أيسر فائق الحسني الآلوسي، مدخل لدراسة الفكر الإسلامي، قسم العقيدة والدعوة والفكر، جامعة الأنبار، رمادي، د س، ص 2.

2_ مزنة بنت مزعل عبد الله العيد، حماية الإسلام للعقل وأثره في تحقيق الامن الفكري، تخصص اصول الفقه، قسم الدراسات الاسلامية، 1436 هـ، ص 165.

3_ الرازي(محمد بن أبي بكر بن عبد القادر) ، مختار الصحاح، ط م، مكتبة لبنان، بيروت، 1986، ص 271.

النخبة كلمة مفردة مشتقة من نخب وانتخب، ينتخب، انتخابا، ويقال: نخب الرجل الشيء نخبا وانتخبه أي اختاره وانتقاه بمعنى الانتخاب والانتقاء، نخب وانتخب الشيء بمعنى اختاره ونخبة القوم هم خيارهم واصطفى الشيء بمعنى اختاره واستخلصه[1].

وجاء في قوله تعالى في سورة الحج: "الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير"[2].

أما معنى النخبة في اللغة الفرنسية فإن كلمة النخبة Elite فإنها مشتقة من الأصل اللاتيني (Ex_Legree) الذي يعني قطف واختار وجمع[3].

2. من الناحية الاصطلاحية:

تشير إلى شرائح المجتمع القليلة التي تتمتع بمركز سياسي، أو اجتماعي مرموق كما نجد أيضا هذا التعبير مطبقا على مجموعة تفوقت أو ظهرت في مجال معيّن.

وقد أطلق على هذه الطبقة العليا ذات التمثيلات الأكثر رمزية مثل الكفاءات التنظيمية مشكلة فئة من النخبة، وتجمع هذه الفئة أهم الكفاءات في مجال تخصصها[4].

ينطبق هذا التعريف على التعريف الذي قدمه الشريف بن حبيلس "إذ يرى أن النخبة هي تلك الفئة من الشباب الطلاب المتكونين في الجامعات الفرنسية والذين كانوا قادرين بأعمالهم أن يصعدوا فوق الجماهير، وأن يضعوا أنفسهم في مضاف ناشري الحضارة الحقيقيين[5].

وهناك من يذهب إلى أن النخب هي نفر من الناس تؤهلهم طبيعتهم أو اختيار الآخرين لهم لممارسة السلطة[6].

لقد انتشر مصطلح نخبة في القرن العشرين خاصة لتغطية نشرات الصحف وغيرها، فالصحافة الفرنسية بجميع أشكالها وألوانها، والدوائر السياسية الفرنسية هي التي أطلقت اسم النخبة على جماعة من الناس تمييزا لهم عن بقية أفراد المجتمع، وتشخيصا لهم لمواصلة السير في طريق الإدماج والمطالبة

1_ ابن منظور، لسان العرب، ج 6، دار المعارف، القاهرة، د س، ص 2468.

2_ سورة الحج، الآية 75.

3_ عبد الله كبار، النخبة الجامعية والمجتمع المدني في الجزائر، قراءة سوسيولوجية في جدلية الواقع والممارسة، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، ع 11، جوان 2013، الجزائر، ص 216.

4_ عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسة، ج 6، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د س، ص 560.

5_ رمضان عثماني، الأسس التاريخية والمنطلقات الفكرية للنخبة الجزائرية ودورها في الحركة الوطنية (1919_1954)، أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ الحركات الوطنية المغاربية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2019، ص 71.

6_ هشام صاغور، النخب السياسية، دراسة مفاهيمية على ضوء النظريات المفسرة، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والانسانية، مج 5، ع 1، المركز الجامعي، غليزان، جوان 2019، ص 72.

بالنخبة الفرنسية وهم الوحيدين القادرين على التأثير على زملائهم وإخوانهم، كونهم يملكون قوة فكرية وثقافية تجعلهم في الصف الأول من المجتمع، بل وطليعته، وبهذا يصبحون بحق الوسطاء النشطين والفعليين بين المجموعتين المتباعدتين ثقافيا ودينيا[1].

- **مدلول النخب السياسية:**

مفهوم النخبة: تدل كلمة نخبة أو صفوة في اللغة العربية معنى الخلاصة، فيقال صفوة الشيء خلاصته وخياره، ويقال اصطفاه أي اختاره، والصفوة من الماء ونحوه، تعني القليل، وانتخب الشيء اختاره: والنخبة ما اختاره منه ونخبة القوم خيارهم، والانتخاب هو الاختيار والانتقاء ومنه النخبة وهم مجموعة تختار من الرجال[2].

مصطلح النخبة: يشمل مصطلح النخبة في معناه العام إلى جماعة من الأفراد يشغلون مراكز النفوذ والسيطرة في مجتمع معين، وتمثل النخبة أكثر الطبقات هيبة وأثرا، ويشير المصطلح إلى الفئة العليا في أحد ميادين التنافس، إذ أنّ النخبة تضمّ البارزين والمتفوقين بالقياس إلى غيرهم، ما يجعلهم قادة في ميدان معين، بذلك يمكن أن نشير إلى نخبة سياسية، ونخبة في العمل، ونخبة في الفن، ونخبة علمية، ونخبة اقتصادية إلى غير ذلك من الميادين[3].

النخبة السياسية: حيث أن الكثير من الدراسات ركزت عليها كأقلية تتحكم في مقاليد السلطة، خاصة دراسات موسكا وتلميذه ميتشلز، اللذان تناولا الفئة التي تتحكم في السلطة، وعموما يمكن القول بأن زعماء الأحزاب السياسية ورؤساء الحكومات والوزراء وأعضاء البرلمان ومجلس الشيوخ كلهم يتملكون صدارة النخبة السياسية في المجتمعات المعاصرة[4].

وتعرف كذلك على أنّها المجموعة التي تستمتع بإمكانيات فكرية وإبداعية على تسيير الشؤون السياسية أكثر من غيرها من أفراد المجتمع وتأخذ أشكالا متعددة وفقا للتفسيرات التي أسندت إليها على أساس الوضع الاقتصادي أو الاجتماعي أو التنظيمي أو التمثيلي من هذه المجموعة[5].

1_ عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 1999، ص 252.

2_ أمينة علاق، نخبة ام نخب، قراءة في المفهوم، الأدوار والإشكاليات، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، ع 22، مارس 2017، ص 170.

3_ هبة علي حسين، دور النخبة السياسية والمتحف السياسي في التحول الديمقراطي، العراق، مجلة حمورابي، ع 28/27، السنة السادسة، 2012، ص 5.

4_ عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص 177.

5_ ابتهال مبروك، التنمية السياسية، الرابط: https://political-encyclopedia.org، 2021/09/17.

تمثل النخبة السياسية المتغير المتنقل الذي يقود وراء مجموعة كبيرة من المتغيرات التابعة في جميع التفاعلات السياسية التي تحدث في بلد ما لذلك حرصت الأدبيات السياسية على التأكيد على حقيقة مهمة وهي أنّه "لا يوجد نظام سياسي في أي مكان في العالم يخلو من النخبة[1].

وعموما يمكن القول أنّ النخب السياسية هي أقلية من أفراد ينتمون إلى الطبقة السياسية ويمارسون السلطة في المجتمع، فقادة الأحزاب السياسية ورؤساء الحكومات والوزراء وأعضاء البرلمان ومجلس الشيوخ كلّهم يشكّلون طليعة النخبة السياسية في المجتمعات المعاصرة.

1_ أميرة مصطفى، مفهوم وخصائص النخبة السياسية، الرابط: https://democraticac.de/?p=61677، 2020/07/10.

الفصل الأوّل:

عوامل ظهور النخب السياسية في الجزائر وتونس

المبحث الأوّل: العوامل الداخلية

المبحث الثاني: العوامل الخارجية

المبحث الثالث: تأثير الثقافة الاستعمارية

المبحث الأوّل: العوامل الداخلية

1. السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر:

لقد عملت فرنسا على تثبيت وجودها بالجزائر بكافة الوسائل والقضاء على مقومات الشعب الجزائري الدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية لتجرده من وسائل المقاومة المادية والمعنوية[1]، لقد ساهمت السياسة الاستعمارية التي اتّبعتها فرنسا إلى حد كبير في تشويه هوية الشعب الجزائري عبر سياسات وإجراءات وقوانين كان الهدف منها القضاء على اللغة العربية والدين الإسلامي، والفرنسة أي الإلحاق بالثقافة الفرنسية، والتنصير والعمل على افتعال الفتن بين أفراد الشعب الواحد عملا سياسة فرق تسد إضافة إلى تطبيق سياسات ثقافية متعددة الأشكال أثرت في البنى الثقافية فيما يتعلق بالجوانب المادية كالعمران والفنون وطبائع العيش وأيضا الجوانب المعنوية اللامادية كاللغة والدين والعادات والتقاليد ومختلف السلوكيات والأنماط[2].

فرسمت السياسة الفرنسية وسيلة أخرى تعتقد أنها تربح بها اللغة وبث الخلاف بين عناصر المجتمع الجزائري بين العرب والبربر وحاولوا أن يقنعوا البربر بأنهم سلالة أوروبية خاصة سكان منطقة القبائل، وأن لهم لغة خاصة لا ينبغي التفريط فيها وأن يمنعوا تعليم العربية للبربر[3].

ـ **سياسة شارل جونار:** حكم شارل جونار الجزائر في مطلع القرن العشرين ثلاث مرات وتميزت سياسته من قمع إداري شديد والمتمثل خاصة في إنشاء المحاكم الرادعة في سنة 1901، وكان ذلك عقب ثورة عين التركي وكذلك منشوره القمعي عام 1906 الخاص بقمع أيّة انتفاضة أو حركة احتجاجية من قبل الأهالي، والذي أعطى صلاحيات غير مسبوقة للقوات الفرنسية، وفي نفس الإطار أصدر سنة 1908 قرار يقضي بمنح الحج، إلا أنه دعا من جهة أخرى إلى الانفتاح الحضاري على الجزائريين وإصلاح أحوالهم من خلال احترام التقاليد الجزائرية، والسماح بتعليم اللغة العربية والتحقيق من قداحة الضرائب وحور القوانين ونشر التراث الجزائري العربي الإسلامي وتقليد أعيان الجزائر مناصب محترمة وإشراكهم في الحكم، ومساهمته في إنشاء الجامعة الجزائري 1909[4].

1_ بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر من 1830-1989، ج 1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص 164.

2_ أحمد وادي، السياسة الاستعمارية الفرنسية وانعكاساتها على ثقافة المجتمع والأمن الهوياتي في الجزائر، مجلة الناقد للدراسات السياسية، ع 2، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2018، ص 299.

3_ عمار الطالبي، آثار ابن باديس (تفسير وشرح الأحاديث)، مج 1، الشركة الجزائرية، ط3، الجزائر، 1997، ص 49.

4_ بشير بلاح، المرجع السابق، ص 327.

لم يتبنى جونار هذه المشاريع الإصلاحية الثقافية قصد الرفع من مستوى الجزائريين بقدر ما هو محاولة لتبني السيطرة الفرنسية على الجزائر، فالمدرسة الابتدائية الفرنسية التي تعتبر في فرنسا أساس الجمهورية هي أساس سيطرتهم في الجزائر، فنتج عن هذه السياسة التعليمية تكوين جماعة من النخب أو جماعة من المثقفين إلا أنه لم يستطع التغلب على ظاهرة الجهل التي تفتش في أوساط الشباب، أما في ما يخص القروض التي كانت موجهة إلى التعليم فإنها تنخفض بمجرد انخفاض المستوطنين في البلديات سواء كانت السلطة كاملة أم مختلطة، وكانت الجهود التعليمية مركزة في البلديات كاملة السلطة التي يقطنها أكبر عدد من الأوروبيين[1].

لقد أدّت سياسة جونار إلى بث النشاط في ميدان الصحافة العربية، وبعث حركة نشر التراث والتأليف والتشجيع التعليم في المدارس العربية والفرنسية وكذلك دروس المساجد على يد مجموعة من المشايخ[2].

ـ حركة التعليم:

كان لحركة التعليم بشقيه العربي والفرنسي لها دور في تكوين جيل مثقف واعي أصبح يحس بمعاناة الشعب وبالقهر الاستعماري المسلّط عليه على طول أكثر من سبعين عاما في الزوايا والمساجد والمدارس والكتاتيب القرآنية رغم مقاومة الإدارة الاستعمارية لها فإنها حافظت على شعلة الثقافة العربية والاسلامية ولقنتها للأجيال وكانت نتائج ذلك ظهور جيل من الرواد المثقفين في مطلع القرن العشرين حملوا على عاتقهم لواء حفظ وحماية الوجه العربي الإسلامي لهذا البلد وأهله وقاوموا السياسة الاستعمارية الفرنسية المناوئة لهم والتنصير الذي حاولت الإدارة الاستعمارية تطبيقه لفسخ البلاد وأهلها وتاريخها وحضارتها وخير مثال على ذلك الشيخ المولود بن الموهوب وعبد القادر المجاوي وغيرهم.

كوّنت المدارس العربية الفرنسية التي أنشئت في الجزائر وقسنطينة وتلمسان جيل من ذوي الثقافة المزدوجة شارك رفع الوعي الفكري والاجتماعي وحتى السياسي كما كوّنت الثانويات والكليات الفرنسية بالجزائر وهي الأخرى جيلا من المثقفين لا يمكن إنكار دورهم في ميلاد النخبة الجزائرية وخير مثال على ذلك الصادق دندان وعمر راسم[3].

ـ قانون الاستقلالية المالية 1900:

1_ عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، المرجع السابق، ص 214.

2_ يحي بوعزيز، الاتّجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوص (1912-1948)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.س، ص 11.

3_ المرجع نفسه، ص 12.

لقد حول هذا القانون المعمرين أن يديروا كلّ الشؤون المالية والاقتصادية العامة بمستعمرة الجزائر، كما أعطاهم قوّة مراقبة الميزانية وشبكة الخطوط الحديدية والمواصلات والغاز والكهرباء، كما أذن لهم أن يشرفوا على الأشغال العامة، ويطوروا موارد البلاد تحت وفوق الأرض هذا ما جعلهم يرهقون الأهالي بالضرائب وأهملوا حاجتهم الاقتصادية والاجتماعية، إذ وجّهوا بذلك المصاريف إلى المشاريع التي تخدم مصالحهم وبالتالي زادوا من معاناة الجزائريين وتخلّفهم[1].

ـ **قانون التجنيد الإجباري:** طبق هذا القانون على الجزائريين في عام 1912[2]، وذلك لحاجتها إلى قوّات عسكرية جديدة بعدما أرسلت قواتها إلى المغرب الأقصى وصدر هذا النظام في حدود 3 فيفري 1912 حيث حددت بموجبه فترة التجنيد بثلاث سنوات لكل الشباب الجزائريين الذين بلغوا الثامن عشر وعارض الجزائريون هذا القانون بشدة واعتبروه أمرا لا يهمهم أنهم سوف يدافعون عن بلد ليس بلدهم لهذا طالبوا بمكافأتهم ومنحهم أجورا على ذلك[3].

أيضا قانون التجنيد الإجباري يخالف المعتقدات التي نشأ عليها الأهالي الجزائريين والفئة التي تعض أصحابها إلى هذا القانون خاصة فئة الشباب الريفي بحجة تنفيذ نفيهم عن أراضيهم فترة طويلة وقامت العائلات الجزائرية بتقديم تضحيات كبيرة من أجل تحرير أبنائهم وذلك من خلال بيعهم لممتلكاتهم وبالمقابل لم تعارض النخبة الجزائرية هذا القانون[4].

2. الاحتلال الفرنسي لتونس 1881:

احتلت الجيوش الفرنسية تونس في ماي 1881 بقيادة الجنرال "بربار" حيث توجه هذا الأخير ومعه القنصل الفرنسي لمقابلة الباي فقدّم له نص المعاهدة سلفا فوقعها الباي وعرفت باسم باردو"[5]، لقد وقعت معاهدة باردو لاستنباط حل وسط بين وضعية الاستقلال ووضعية الالحاق، ذلك أن فرنسا اعترفت بسيادة الباي على تونس، ولكنها قيدت سلطاته في الميدان المالي وأصبحت تقوم مقامه في كلّ ما يتصل بعلاقاته مع الدول الخارجية[6] رفضت إمضاء هذه المعاهدة في 12 ماي 1881 أصبحت فرنسا ترغب في العمل وحدها بالإيالة التونسية بدون تدخل أي دولة من الدول الأخرى مهما كانت المصالح لها في

1_ عباس فرحات، ليل الاستعمار، تر: أبو بكر النحال، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، ص 106.

2_ صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، ط 6، مكتبة الأنجلو المصرية، 1993، ص 289.

3_ ناهد إبراهيم دسوقي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2011، ص 29.

4_ عبد الرحمان بن ابراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة 1920-1936، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 34.

5_ الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة، ط2، دار المعارف، تونس، د س، ص 25.

6_ أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)، تع: حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986، ص 9.

تونس، لقد حرص المقيم العام الفرنسي بول كامبون منذ قدومه إلى تونس على التخلص من اللجنة المالية الدولية وذلك بإبرام اتّفاقية المرسى التي سمحت لفرنسا بأن تضمن لدائني البلاد التونسية استبدال أو تسديد الدين الثابت والدين المتقلب وبأن تضع حدّا لعمل اللجنة المالية الدولية وتعيد تنظيم المالية التونسية وكذلك تعيد تنظيم تونس[1].

فانفجر الشعور الوطني غضبا على أولاد حسين (أسرة الباي) التي باعت البلاد لفرنسا، حيث أعلن الكثير من أفراد الجيش عصيان أوامر الباي والضباط وصمموا على الثورة، نتيجة اجتماع الباي بمستشاريه ليستشيرهم في مقاومة الاحتلال الفرنسي، فمنهم من أباح إمكانية الاستسلام في حال عدم قدرة الباي على المواجهة، ومنهم من رفض الاستسلام وأبرزهم اللواء العربي زروق انتفض هذا الأخير يعاتب دعاة الاستسلام واعتبر رأيهم أنه لا يعبر عن شرع أو شعب بل يعبر عن مصالحهم الحقيقية، وأسكت هؤلاء الذين اجتمعوا بالدعوة إلى التعقل والبعد عن المغامرة، وبذلك أشعل بموقفه شرارة الجهاد، التي سوف تلتهب شعلتها في قلب الشعب بل والجيش التونسي في ذلك الوقت[2].

- خسائر بشرية كبيرة ألحقت بالتونسيين جراء مشاركتهم في الحرب العالمية الأولى (1914-1918).
- إثارة غضب الشعب التونسي السياسة الاستعمارية الاستغلالية للبلاد خلال الحرب بما يعرف بضريبة الدم، وهي عبارة عن سياسة تملكت في تشغيل السجناء لتعويض ما فقدته من يد عاملة.
- تضرر الفلاحين والحرفيين والتجار من خلال اتّباع سياسة التمييز لصالح الجالية الفرنسية "قانون الثلث الاستعماري"[3]، فانتشر نتيجة هذه السياسة الفقر والبؤس والبطالة في صفوف التونسيين، مما وفر الظروف الملائمة لنمو الوعي الوطني السياسي[4].

ـ **حركة جريدة الحاضرة 1888:** عاد إلى تونس مجموعة من الطلبة التونسيين من خريجي المدرسة الصادقية بعد إتمام تعليمهم في الخارج، فقرروا السير في طريق النهضة والدعوة إلى توعية الشعب من

1_ أحمد القصاب، المرجع نفسه، ص 18.

2_ الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 27.

3_ قانون الثلث الاستعماري سنته السلطات الاستعمارية في 1919 ويتمثل في رفع أجور العمال الفرنسيين دون غيرهم والمقدرين بنسبة 30% من مجموع العمال، ينظر: عبد اللطيف الحناشي، الاستعمار الفرنسي وحدود تحكمه في المجال أمنيا: مدينة تونس خلال فترة ما بين الحربين أنموذجا، أشغال الندوة الدولية للجامعة اللبنانية، طرابلس، لبنان، 2008، ص 84.

4_ أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 487-489.

خطر الاستعمار الفرنسي، فأسسوا جريدة بالعربية سميت بالحاضرة جعلوها وسيلة يعبرون بها عن واقع البلاد، فأسسوها عام 1888، وتولى إدارتها علي بوشوشة[1] فاتّخذ نادي أركان العروة الوثقى مقرّا لها[2].

فدعم هذه الجريدة البشير صفر، حيث أخذت جماعة الحاضرة الأسلوب السلمي للمقاومة منذ إدماج الشعب العربي في تونس وتدوينه في بوتقة فرنسية والقضاء على مقوماته الوطنية[3]، فقد تناولت جريدة الحاضرة القضايا التونسية ذات الطابع الديني والسياسي والحريات العامة، وربط الحركة الوطنية التونسية بالجامعة الاسلامية أي أنها كانت حركة دينية وطنية إسلامية، ولقيت هذه الجريدة انتشارا واسعا بين الشعب التونسي، فالسلطات الفرنسية لم تناهضها في البداية لاعتقادها أنها حركة إصلاحية تدعو إلى الإصلاح في نطاق الحماية الفرنسية[4].

لقد أسهمت جماعة الحاضرة بشكل مباشر في نشر الوعي من خلال تنوير الشعب بمعالم النهضة الاجتماعية، وهذا ما أزعج السلطات الفرنسية وعرض أصحابها إلى مضايقات من طرف السلطات الفرنسية الاستعمارية كالبشير صفر وعلي بوشوشة[5].

ـ **الجمعية الخلدونية 1896:** دعا زعيم الحركة الاصلاحية البشير صفر في 22 جانفي 1896 إلى تكوين الجمعية الخلدونية هدفها إدخال الإصلاح على جامع الزيتونة ومساعدة طلبة الزيتونة على تحسين مستواهم ومواجهة المحاولات التي استهدفت محو الشخصية التونسية والقومية العربية، فلعبت هذه المؤسسة الوطنية دورا هاما في نشر العلم والثقافة الحديثة وتغذية الروح الوطنية في الشباب التونسي، وذلك عن طريق الدروس والمحاضرات ومحادثات في التاريخ والجغرافيا واللغات العصرية والاقتصاد والسياسة[6].

1_ علي بوشوشة: ولد سنة 1859 ينتسب إلى أسرة كبيرة من أصل جزائري كانت مقيمة بمدينة بنزرت، من خريجي الزيتونة والصادقية، قضى ثلاث سنوات بمعاهد انجلترا العليا وعاد منها سنة 1881، وصار من خيرة الموظفين بالكتابة العامة للحكومة التونسية، وزار كذلك الاستانة وتأثر بكلماتها، ينظر: يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري التونسي(1919- 1934)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، غير منشورة، 1986، ص 18.

2_ الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 33.

3_ المرجع نفسه، ص 33.

4_ خليفة الشاطر وآخرون، تونس عبر التاريخ (الحركة الوطنية ودولة الاستقلال)، ج 3، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005، ص 65.

5_ يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين (1919-1934)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص 334.

6_ علي المحجوبي، الحركة الوطنية التونسية ما بين الحربين، مج 2، معهد التربية والتكوين المستمر، سلسلة التاريخ والجغرافيا، منشورات الجامعية التونسية، تونس، 1986، ص 26.

لقد كان لها دور في يقظة الشعب ومقاومة الاحتلال عن طريق العمل بالعلوم العصرية كوسيلة مكملة للنضال السياسي والوطني في تونس[1].

ـ **جمعية قدماء الصادقية 1905:** تأسست في 23 ديسمبر 1905 ترأسها خير الله بن مصطفى وتولى علي باشا حامبة مهمة الإشراف على معظم أنشطتها، فكانت هذه الجمعية بمثابة الجامعة الشعبية الداعية إلى الأخذ بالأفكار العصرية، من خلال إلقاء المحاضرات وتداول النقاشات التي أخذت بعدا سياسيا قام بكشف الجوانب السلبية للاستعمار، وساعد على نمو الروح الفردية والوعي بالهوية[2].

إن كلّ الأفكار التي عملت بها الحاضرة والخلدونية والصادقية على نشرها هدفت إلى النهوض بالبلاد التونسية قد ساهمت في تكوين رأي عام في صلب الأهالي وخصوصا بمدينة تونس[3].

المبحث الثاني: العوامل الخارجية

1. الجامعة الإسلامية والحركة الإصلاحية:

وهي حركة تدعو إلى تضامن المسلمين من أجل تحقيق الوحدة والقوة بينهم في وجه التوسع الأوروبي فهي تقوم على الإصلاح الديني والاجتماعي، ومن بين العلماء المصلحين "جمال الدين الأفغاني" وتابعه "محمد عبده"، و"رشيد رضا" وآخرون، وقد تبناها السلطان عبد الحميد الثاني (سلطان الدولة العثمانية)[4].

فتوسعت هذه الفكرة في أرجاء العالم الإسلامي خلال النصف الأول من القرن العشرين، وكانت تهدف إلى فك الشعوب من مخالب الاستعمار وسيطرته، وزادت هذه الحركة إيمانا وثقة ببلوغ الهدف وشعور هذه الشعوب بقدرتها على تسيير شؤونها بنفسها بفضل علماء المسلمين ومفكريه، واتّجهت إلى توحيد المسلمين والعمل على ترقيتهم الفكرية والسياسية والدينية والاجتماعية والثقافية، وقد أثبتت قدرة الدين الإسلامي على النهوض بالشعوب واحتوائه على جميع شروط الحضارة المعاصرة[5].

الارتباط الوثيق للنخبة التونسية مع الجامعة الإسلامية والمشرق التي ساندت البلاد في نضالها التحرري وحمايتها للهوية خاصة في ظل الحركة التي قامت بمصر سنة 1920 على يد سعد زغلول المتمثلة في طرح قضية الاستقلال، وتونس لم تكن بمعزل عن الأحداث الخارجية[6].

1_ الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 35.

2_ يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري التونسي، المرجع السابق، ص 23.

3_ علي المحجوبي، الحركة الوطنية التونسية، المرجع السابق، ص 27.

4_ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية 1900-1930، ج 2، دار الغرب الإسلامي، ط 4، لبنان، 1992، ص 109.

5_ يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية، المرجع السابق، ص 59.

6_ " " " "، الحزب الحر الدستوري التونسي، المرجع السابق، ص 59.

لقد قدمت الجامعية الإسلامية للجزائريين أفكار جديدة وتصورات من خلال الكتب والصحافة وشجعتهم على الهجرة نحو الشرق الأدنى، وعرفت بالقضية الجزائرية من خلال مهاجمتها للحكم الفرنسي وتشجيع الجزائريين على رفض التجنيس، وضغطت على فرنسا لإدخال إصلاحات جديدة[1].

2. **زيارة محمد عبده للجزائر:**

أثرت زيارة محمد عبده في سنة 1903 بشكل كبير وخاصة العلماء والمفكرين، والذين تأثروا بأفكاره الإصلاحية وطموحاته الوحدوية والنصائح التشجيعية التي قدمها إلى الجزائريين دفع بها حركة الإصلاح بالجزائر وهذا ما أظهر ثلة من المثقفين والعلماء أمثال عبد الحليم بن سماية، وعبد القادر المجاوي[2] وغيرهم، فزار الشيخ محمد عبده المساجد الجزائرية للتعرّف على مستوى الدروس المقدمة وإجراء المحاورات العلمية والفقهية فيها، لقد مثلت زيارة محمد عبده إلى الجزائر حدث هام وتاريخي في مسار الحركة الفكرية بالجزائر ودفعت بالجزائريين إلى إنشاء مراكز توعوية كالنوادي والجمعيات ونشر أفكار الجامعة الإسلامية[3].

ـ زيارة محمد عبده إلى تونس:

قام الشيخ محمد عبده بزيارتين تاريخيتين إلى تونس فالأولى كانت عام 1884، والثانية في 1903[4]، حيث ساهمت هذه الأخيرة في زرع بذور حركة فكرية وإصلاحية تهدف إلى إيجاد وعي سياسي واجتماعي، قوامها تخليص المجتمع من الاستبداد والركود والانغلاق على مفاهيم سلطوية متحجرة، ومقاومة البدع

1_ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية، ج 2، المرجع السابق، ص 119.

2_ محمد عبده: (1845_1905) ولد بقرية نصر في مدينة البحيرة المصرية، تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن لمّا تجاوز من عمره العشرة، ثم درس بالجامع الأحمدي تعلم تجويد القرآن وقواعد اللغة العربية، كان على صلة بالشيخ جمال الدين الأفغاني الذي تأثر بعلمه ونادى بدعوته، عين مدرسا بمدرسة دار العلوم وتولى تدريس علم التاريخ، شارك في معركة الجهاد مع شيخه الأفغاني من أجل الإصلاح، كذلك تولى رئاسة جريدة تحرير الوقائع المصرية وهي الجريدة الرسمية للدولة وجعلها منبرا لإصلاح الشعب والحكومة وعليه أصبح رائد للكتابة الصحفية في عصره، نفي إلى بيروت ومنها رحل إلى باريس فأصدر فيها مجلة العروة الوثقى مع جمال الدين الأفغاني ثم عاد إلى بيروت واشتغل بالتدريس، وفي عام 1899 عيّن عضوا بمجلس شورى القوانين وتوفي سنة 1950، ينظر: الدكتور أيوب أبوديه، موسوعة أعلام الفكر العربي الحديث والمعاصر، المكتبة الوطنية، ط 3، الأردن، 2018، ص 617-620.

3_ عبد القادر المجاوي: هو عبد القادر بن محمد بن عبد الرحمان المجاوي، ولد بتلمسان سنة 1818، درس في مسقط رأسه ثم انتقل لمتابعتها في كل من فاس وطنجة وأدى فريضة الحج ليتولى التدريس أولا بقسنطينة، ومحاضر في المدارس الحرة والمساجد كمسجد سيدي الأخضر فأحدث تأثيرا كبيرا في الأواسط الفكرية والشعبية بدروسه ومحاضراته، لقد كان أبو النهضة الإصلاحية في الجزائر، وزرع البذور الأولى في الإصلاح، ينظر: راضية بوراس، الشيخ عبد القادر المجاوي ودوره في الإصلاح، مجلة المعيار، مج 26، ع 69، كلية العلوم الإسلامية يوسف بن خدة، 2022، ص 231-241.

4_ فتحي حسن ملكاوي، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الاصلاح والتجديد في الفكر الاسلامي المعاصر، المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، الولايات المتحدة الامريكية،2011 ،ص 65.

والخرافات والعودة بالمسلمين إلى الأسس التي أنبتت عليها حياة أسلافهم ونبذ كل ما ليس له علاقة بالدين كالطرق الصوفية[1].

لقد أكد الشيخ محمد عبده عند زيارته إلى تونس الثانية أن الحركة الإصلاحية التونسية لها تطور أكثر عن الحركة القائمة في الجزائر، وذلك من خلال تطور الحركة العلمية بتونس عن الجزائر.

فأسهم الشيخ محمد عبده في تنمية الحركة الإصلاحية بتونس في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين رغم أنه لم يشارك في بعثها، وقد كانت مجلة المنار المؤسسة سنة 1898، تصل إلى تونس فيقرأها العديد من رجال الفكر وقد أولت هذه المجلة بعض الاهتمام بالمسائل التونسية ولا سيما منها التعليم، ولم يفتها بالمناسبة أن تنقل مقتطفات من جريدة الحاضرة، لذلك يمكن القول بوجود تعايش وتواصل بين التيارين الإصلاحيين التونسي والمصري، ولكن لا يصحّ أن نقول أنّ الأوّل تابعا للثاني أو نتاجا عنه[2].

3. **الهجرة الجزائرية نحو المشرق وأوروبا:**

ـ الهجرة نحو المشرق:

لقد أحدثت هذه الهجرة تأثير كبير في نفوس الجزائريين بسبب ما وجدوه هناك في المشرق العربي من حرية التعبير والعمل، كما اتّصلوا بشخصيات مرموقة أمثال محمد عبده وغيره من زعماء الإصلاح الذين أتاحوا لهم فرصة الهجوم على السياسة الاستعمارية الفرنسية من خلال نشر مقالاتهم في الصحف، وإلقاء المحاضرات في مختلف المناسبات[3].

وتمكن أيضا المهاجرون الجزائريون في المشرق من الوصول إلى المؤتمرات والاجتماعية التي كانت تقام في فترة الحج وبذلك تأثروا بالأفكار الإصلاحية المتداولة هناك، وبالتالي ساهم الحجاج الجزائريون في نقل مجموعة من الجرائد والمجلّات إلى الجزائر وهكذا مكنت الجزائريين خاصة المثقفين منهم على التعرف على الأفكار الإصلاحية، التي تحملها الجزائر محاولين تطبيقها كرد فعل السياسة الاستعمارية ومثال عن ذلك نجد مجلّة "العروة الوثقى" التي أسسها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، كانت تستهدف نهضة العرب المسلمين حيث كان لهذه المجلة دور هام في حركة البعث العربي الإسلامي في العصر الحديث فأيقظت الضمير الوطني في النهوض وعملت على اكتساح العالم العربي وحوله إلى شرايين لتغذية العالم العربي

1_ إسماعيل الحسني، نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، 1995، ص 77.

2_ علي المحجوبي، جذور الحركة الوطنية.... ، المرجع السابق، ص 135.

3_ إدريس خضير، البحث في تاريخ الجزائر الحديث (1832-1962)، ج 1، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص 203.

بالموارد الخام المنتجات الزراعية، ونجد كذلك جريدة "اللواء" التي كان يصدرها علي يوسف في القاهرة وكانت دعوتها مركز على أساس الإصلاح وتصحيح الأوضاع الداخلية في البلاد العربية[1].

ـ الهجرة نحو أوروبا:

أمّا هجرتهم إلى أوروبا مكنتهم من التعرف على وسائل كفاحية جديدة وعصرية لم يسبق لهم أن استعملوها في الجزائر مثل الصحافة المكتوبة وأدركوا أهمية استعمالها في إبلاغ الصوت الجزائري إلى الرأي العام الداخلي والخارجي في ظل معاناة الجزائريين من مجلات الصحافة الفرنسية ومن تشويشها للحقائق إضافة إلى ذلك حرمان الجزائريين من التعليم ومرارة غرس الأفكار الفرنسية في المجتمع الجزائري[2].

4. الحرب العالمية الأولى وأثرها على تونس:

عاشت تونس الحرب العالمية الأولى (1914-1918) في ظل سياسة استبدادية أملتها نزوات المقر العام للحكومة الفرنسية، لكن في نهاية الحرب تحولت الوعود لصالح الأوروبيين فهذه السياسة أثارت سخط أبناء تونس الوطنيين.

بشرت الحالة في البلاد، مع نهاية الحرب العالمية الأولى بنهاية حقبة وبداية عهد جديد، أحدث هذا الأخير تغييرات عميقة في تونس في مواجهة بروز أسباب الانفراج السياسي، مما شجع على تشكيل الرأي العام في البلاد، خاصة أنه خلال الحرب تمّ تجنيد 80 ألف تونسي في الجيش الفرنسي، لدرجة أن أكثر من 85% من القوات التونسية كانوا من المجندين، وكثير منهم أرسلوا إلى الجبهة الغربية، مما أدى إلى مقتل 20 ألف جندي تونسي بالإضافة إلى الجرحى، وسقوط 5000 آخرين في كلّ من سوريا والمغرب، بالإضافة إلى هذه الوحدات، كان هناك 15000 مجند والعديد من المتطوعين الذين يعملون في المزارع والمناجم والصناعات في فرنسا يحلوا محل الفرنسيين الذين خدموا في القوات المسلحة، ومع عودة قدامى المحاربين التونسيين من الجبهة فإن استيائهم يدفع العائلات إلى اتّخاذ قرار الاهتمام بالسياسة بسبب المعاناة التي تحملها أطفالهم باسم فرنسا[3].

المبحث الثالث: تأثير الثقافة الاستعمارية

1_ رابح فلاحي، جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر (1908- 1954)، أطروحة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008، ص 5-16.

2_ محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية، 1830- 1954، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2004، ص 92.

3_ أم الخير بان، الجاليات الأوروبية في تونس وموقفها من الحركة الوطنية التونسية (1881-1956)، أطروحة دكتوراه في تخصص تاريخ بلاد المغرب المعاصر، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، 2021، ص 162.

إن النخب التي تبنت المنطلق الإسلامي كأساس لتكوينها لم تكن وحدها في الجزائر، بل كانت هناك فئة نخبوية أخرى، تأثرت بالفكر الاندماجي كركيزة لمنطلقها التكويني وفق القاعدة الأساسية التي لعب عليها الاستعمار، والتي تعمل على خلق طبقة تؤمن بإمكانية الاستفادة من الحقوق والواجبات التي يتمتع بها المرء الفرنسي، فساهم الاستعمار في إيجاد هذه الطبقة التي تبنت هذا الطرح المغاير الذي ينظر للفكر الاندماجي، والذي يختلف عن أطروحات الجمعية والتيار المصالي، إذا كانت ترى هذه الطبقة أنّ الحلّ يجب أن يكون في ارتباط الجزائر فدراليا بفرنسا، والتمتع بالحقوق والواجبات التي يتمتع بها نظرائهم الأوروبيين في شتى المجالات وتطبق عليهم أحكام فرنسا ديمقراطية لا فرنسا الاستعمارية[1].

فالجزائريين دارسين بالمدارس الفرنسية أصبح لديهم إلهام بقسط من الثقافة الأجنبية، مما جعلهم يقلدون أمة أجنبية في أفكارها وأذواقها وأخلاقها وطرقها في القول والعمل، حيث يصف ممثل الحكومة العامة أحد شباب الجزائر المتفرنسة، فيقول:" أنه كان مختلفا عن غيره من الجزائريين يلبس عن المدينة الأوروبية إذا يضع قبعة"[2].

كما ساعدت عدّة عوامل على انتشار هذه الأطروحات في الجزائر، حيث نجد أن الحملات التبشيرية سعت جاهدة للوقوف في وجه الدين الإسلامي والترويج للفكر العربي، هذه البعثات التي استغلت الصحف الكبرى التي تسيطر عليها النفوذ الاستعماري، والتي كان لها أثر كبير في خلق مفاهيم جديدة للفكر العربي منفصلة أو متعارضة مع القيم الأساسية الإسلامية، هذا من جهة ومن جهة أخرى نجد النفوذ الأجنبي الذي بسط سيطرته على البرامج التعليمية من خلال فصلها عن أرضيتها الإسلامية التي تعتبر كأرضية[3] أساسية لبناء نخب مثقفة تدافع عن بلدها وهويتها العربية الإسلامية، والتمكين للغة الفرنسية وجعلها مصدر التفوق في مجال العمل في المعارف والدوائر المختلفة[4].

العلماء الذين درسوا وتخرجوا من مراكز التعليم العالي في البلدان العربية، كان هدف هذه الفئة إصلاح المجتمع الجزائري بإعادة الاعتبار للغة العربية وترقيتها والحفاظ عليها من التحريف والمسح من خلال الاهتمام بنشر التعليم العربي الإسلامي وربط المجتمع الجزائري بماضيه وحضارته الإسلامية، وتنويره ليتطبع الوقوف في وجه المخاطر التي تتربص به، أما الفئة الثانية فهي ذات التكوين الفرنسي، فلا شك أنها من نتاج أطروحة الجزائر الفرنسية والتي كانت تعتبر إصلاح المجتمع الجزائري لا يتم إلا بإقدام

1_ حميد عميراوي، دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827_1840)، دار البعث، الجزائر، 1987، ص 141-142.

2_ مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص 425.

3_ أنور الجندي، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، ط 2، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1983، ص 28.

4_ مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص 28.

فرنسا على دمج الشعب الجزائري، وقد ضمن اتجاهين أحدهما يطالب بالمساواة السياسية في إطار الاحتفاظ بأحوال الشخصية العربية الاسلامية والذي مثله الأمير خالد، واتجاه يقبل بالتجنس بالجنسية الفرنسية مع التخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية، مقابل الاستفادة من الحقوق السياسية والمساواة الكاملة مع الفرنسيين[1].

1_ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية... ، ج 2، المرجع السابق، ص 151-152.

خلاصة الفصل:

ـ خضعت الجزائر وتونس للسيطرة الفرنسية، حيث تعرضت الجزائر للاحتلال الاستيطاني وتونس لنظام الحماية، بعد فشل المقاومة المسلحة في البلدين ظهرت المقاومة السياسية ، واعتبرت طريقة جديدة للنظام لاستعادة الاستقلال.

ـ لم تكن هذه النخب السياسية وليدة صدفة، فحسب بل كانت هناك عدة عوامل ودوافع اثرت بشكل كبير على فكر ووعي الشبان الجزائريين والتونسيين، يمكن ان نلخص هذه العوامل التي ساهمت في تكوين هذه النخب السياسية في امور متعددة منها، السياسة الفرنسية المطبقة، ووقع الحرب العالمية الاولى في نفوس الجماهير، وكذلك زيارة محمد عبده لكل من الجزائر وتونس، وظهور فكرة الجامعة الاسلامية والحركة الاصلاحية، كلها هدفت الى فك الشعوب من مخالب الاستعمار وسيطرته.

الفصل الثاني:

ترجمة لشخصية مصالي الحاج

المبحث الأول: نشأته وتكوينه

المبحث الثاني: نضاله السياسي

المبحث الثالث: أفكاره وآثاره

المبحث الأوّل: نشأته وتكوينه

1. مولده ونشأته:

هو حجي ولد أحمد حجي بن سي بوزيان بمصلي هكذا سجل في شجرة العائلة لبلدية تلمسان[1]، ينتمي أحمد مصالي الحاج إلى عائلات قديمة وعريقة في تلمسان، وهو من أصل كرغلي[2]، وولد أبو مصالي الحاج في مدينة وجدة المغربية بعد أن هاجر جده إثر الغزو الإسباني، أما لقبه في الأصل هو "مسلي"، أي ساكن الموصل في كردستان العراق، وهو الاسم الذي حولته الحالة المدنية الفرنسية إلى مصالي[3].

ولد أحمد مصالي الحاج[4] في 16 ماي 1898في حي الرحيبة بتلمسان، التي كانت تابعة في ذلك الوقت لعمالة وهران[5]، بدار قادري بالطريق العلوي نهج باب الحياد الآن، وهذا الحي كان يضم حي الرحيبة وحي سي الوزان وعرصة ديدو وحي مصطفى، وكانت لهذه الأحياء مداخل مختلفة، ولكنها كانت متداخلة ومتشابكة مع بعضها البعض[6].

والده هو الحاج أحمد مصالي كان يعمل مزارع في قطعة أرض تسمى الصفصاف، وتبعد بعشرين كيلو مترا عن تلمسان، كما كان ضعف دخل الأسرة عقبة كبيرة في طفولة أحمد مصالي، حيث لم تكن الأرض تلبي احتياجات الأسرتين[7]، مما دفع والده للعمل في محطة ابدال مونتياك، ثم انتقل لحراسة ضريح الوالي سيدي بومدين هذا مع الصدقات والهدايا التي قدمت لهذا الضريح، بالإضافة إلى عمله في المراقبات الليلية[8]، وذلك بعد تكليفه من سكان مدينة تلمسان في ذلك، لأنهم احترموه على تقواه وشجاعته، وسرعان ما وصل إلى مرقد سيدي عبد القادر الجيلاني بعد عام 1919، واستمر في هذا المنصب لمدة عشرين عام حتى عام 1938، حيث توفي في مارس 1938[9]، حيث كان لأبي مصالي الحاج شخصية بسيطة ومتينة، ضد التعاون مع الإدارة الاستعمارية، مما أثر في شخصية ابنه.

1_ محمد قنانش، ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص9.

2_ الكراغلة: وهم المنحدرون من أصول تركية وأمهات جزائرية، ينظر: كمال بيرم، بلدية المسيلة المختلطة دراسة اقتصادية واجتماعية بين 1884- 1945، مذكرة ماجستير تخصص تاريخ وحضارات البحر المتوسط، جامعة منتوري قسنطينة،2006، ص101.

3_ بنيامين سطورا، مصالي الحاج رائد الحركة الوطنية 1989- 1974، تر: الصادق عماري ومصطفى ماضي، دار القصبة، الجزائر، 2002، ص19.

4_ أنظر الملحق رقم (01).

5_ مصالي الحاج، مذكرات مصالي الحاج 1989-1938، تر: محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ص9.

6_ محمد قنانش، ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، المرجع السابق، ص9.

7_ حميد عبد القادر، دروب التاريخ مقالات في تاريخ الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص35.

8_ بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص20.

9_ محمد قنانش، ذكرياتي ..... ،المرجع السابق، ص9.

أما والدة مصالي الحاج فتدعى فاطمة بنت ساري حاج الدين ابنت القاضي الشرعي بتلمسان[1]، كرست كرست حياتها لتربية أبنائها حتى وفاتها في ربيع عام 1922، كانت والدته الزوجة الثانية لوالده، حيث نشأ مصالي الحاج في أسرة مكونة من طفلين و أربع بنات وله أخ وأخت أكبر منه بكثير من زوجة أبيه الأولى، أما البنات الثلاث فهم أخواته من والدته فاطمة ساري، وكانوا يسكنون في منزل جدته ماما بن قلفاط في حي الجياد[2].

ـ العوامل المؤثرة في مصالي الحاج:

أما بالنسبة لشخصية مصالي الحاج فقد كان للبيئة التي نشأ فيها دور كبير، حيث نشأ في أسرة فقيرة حافظت على الأصالة والوطنية، والدليل على ذلك أن والده رفض التعامل مع الإدارة الفرنسية حيث كان لوالده تأثير كبير في حياته[3].

لقد كان للأب تأثير كبير على ابنه في صنع أفكاره وتنميتها وتوعيتها على أساس حبه للوطن وضرورة الدفاع واسترداد الأرض من المستعمرين، بالإضافة إلى أن والده كان يهتم بالتطورات السياسية، حيث كان يغذي أفكار ابنه بذلك تماما، كما كان لمصالي الحاج على صلة بالأرض من خلال والده .وأيضا كان لجدته "بنقلفات" دور كبير في تربيته، بعد وفاة والدته 1922، حيث عملت على رعايته[4]، بالإضافة إلى دور دور الزاوية الدرقاوية في حياته الاجتماعية والسياسية، حيث عمل على الحفاظ على مبادئها وتعاليمها التي تهدف إلى الدفاع عن الظلم والاضطهاد، فهذه الزاوية كان لها دور آخر وهو الكفاح السياسي والمقاومة، والدليل على ذلك أن الحاج موسى الدرقاوي خرج للحرب وكذلك المجاهد طوطي وغيرهم من الدرقاويين كلهم كانوا مناضلين[5]، وهذا ما غرس فيه بذور حب الوطن والنضال من أجل استرداد الأرض، كما أثرت دينيا وسياسيا على فكر الطفل مصالي الحاج[6].

كان مصالي الحاج رياضيا يحب الفنون والثقافة، بما في ذلك المسرح والموسيقى، بالإضافة إلى حبه للقراءة كثير مما ساعده على أن يكون له شخصية ذات قدرة عالية على التنظيم والنضال والدفاع عن الحق بشكل بائس عن بالحجة والجدال والإقناع الذي أهله لقيادة جهاد الشعب الجزائري ضد الاستعمار

2_ آسيا تميم، الشخصيات الجزائرية 100 شخصية، دار المسك للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص91.

3_ مصالي الحاج، المصدر السابق، ص10.

4_ المصدر نفسه، ص60.

4_ بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص20.

5_ أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص299.

6_ عبد الرحمان بن العقون، المرجع السابق، ص 137.

منذ صغره[1]، ونتيجة للوضع البؤس الذي عاشه الطفل من حياة قاسية خلال طفولته مما اضطره لترك المدرسة في سن مبكرة للعمل ودعم أسرته والانتقال من وظيفة إلى أخرى وتركه للمدرسة رغم حبه للدراسة والاستكشاف والطموح ورغبته في تعلم اللغة الفرنسية كان له دور كبير فيما توصل إليه فيما بعد[2].

2. تعليمه وتكوينه:

دخل مصالي الحاج الكتاب العربي بجامع الوزان وحفظ عدة احزاب من القرآن، ولما بلغ سبع سنوات من عمره ادخله ابوه الى المدرسة الفرنسية التي لم يكن يتردد عليها، حيث كان بالموازاة مع ذلك يتردد على زاوية الشيخ بن يلس الدرقاوية وفيها العربية واحاط بقسط من المعارف[3] كانت امه ترغب ان تكون لديه حرفة ليعيش بها من ابناء بلدته[4].

درس مصالي الحاج في المدرسة الاهلية الفرنسية بتلمسان فكان يتألم كثيرا لمدى اهتمام المدرسة بتاريخ فرنسا وتلقينه للتلاميذ في الوقت الذي غيب فيه تماما تاريخ وجغرافية وطنه، ولاحظ الطفل أحمد الفرق الشاسع بين ما يتلقاه في المدرسة عن الحضارة والعدل الفرنسيين وما يشاهده في الواقع في اهانة واستغلال الجزائريين فاصبح التلميذ مصالي شديد الغضب يثور لكل صغيرة وكبيرة تمس زملائه التلاميذ فلقب ب" محامي القسم"[5].

3. حياته المهنية:

وقد تخلى مصالي لفترة عن المدرسة وعمل حلاقا، متمرنا، ثم اسكافيا، وفي سن العاشرة عمل عند أحد أقربائه بالحناية في محل للبقالة، وقد عانى كثيرا خلال هذه الفترة، ثم انتقل إلى العمل في مصنع التبغ، وشارك في 1911 في مظاهرة بتلمسان ضد التجنيد الإجباري[6].

استدعى مصالي الحاج إلى الخدمة العسكرية الإجبارية في الجيش الفرنسي عام 1918، فتنقل إلى وهران ثم إلى مدينة بوردو الفرنسية، ولحسن حظ الشاب مصالي الحاج أن الحرب العالمية الأولى كانت

1_ بشير بلاح، المرجع السابق، ص486.

2_ مصالي الحاج، المصدر السابق، ص47.

1_ عبد الرحمان بالأعرج: جوانب من حياة مصالي الحاج بمدينة تلمسان (المولد والنشأة)، مجلة القرطاس، ع 1 ، 2012، ص 268.

2_ محمد قنانش ومحفوظ قداش: نجم شمال افريقيا 1937- 1926، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ص 70.

3- بشير بلاح، المرجع السابق، ص 183.

6_ عبد الرحمان بالأعرج، المرجع السابق، ص268.

على وشك النهاية، إلا أنه تألم كثيرا لأن الدولة العثمانية التي يرتبط بها عقائديا قد انهزمت في الحرب أمام كل من فرنسا وبريطانيا واعتبر ذلك هزيمة للإسلام والمسلمين[1].

وفي عام 1920 رقي إلى عريف ثم رقيب، وهنا شعر بالتمييز في الرواتب بين الجزائريين والفرنسيين، فقد كان يتقاضى فرنكا ونصف الفرنك، بينما كان زميله الفرنسي من نفس رتبته يتقاضى سبع فرنكات وعندما اعترض خطيا على هذا التمييز أمام قيادته العليا جاء الجواب بأن وصفه كأهلي يمنعه من التمتع بكافة حقوق الفرنسيين[2].

سرح مصالي الحاج من الخدمة العسكرية الإجبارية في 28 فيفري 1921، فجاء إلى مدينة تلمسان ليشرع في البحث عن العمل المحترم الذي يليق به لأنه كان يرفض الاستغلال البشع للعمال الجزائريين[3].

وأمام هذه الظروف الغير مواتية إليه فكر مصالي في الهجرة لاطلاعه على المشرق أو باريس، فأما بالنسبة للمشرق، فقد جذبه استطلاعه الواسع للأحداث المعاصرة وبالأخص في تركيا واعتزازه بما قام به مصطفى كمال أتاتورك في حين باريس، كان يرى فيها المتنفس الوحيد لتحسين وظيفته، ومن يوم من أيام أكتوبر 1923، وجد نفسه في باريس في مدينة كبيرة تختلف عن مدينته الصغيرة ومن هنا بدأ مسار مصالي الحاج في المهجر[4].

لقد زادت هذه الأحداث من وعي الشباب المتحمس، وجعلته يفكّر في الهجرة إلى فرنسا أمام انسداد الأفق بمدينته أمام طموحاته المتواضعة في العيش الكريم بين ذويه، وأمام عدم امكانية حرية التعبير والاحتجاج على المظالم الاستعمارية[5].

ـ تجنيده في الجيش الفرنسي:

أصدرت السلطات الاستعمارية الفرنسية قانون التجنيد الاجباري في عام 1911 والذي ينص على التجنيد الإجباري للشباب الجزائري للخدمة في الجيش الفرنسي، ورفض الجزائريون ذلك القانون الجائر بحقهم وطلبوا بإسقاطه لأنه يجبرهم على القتال إلى جانب الكفار حسب اعتقادهم ذلك الوقت[6].

1_ آسيا تميم، المرجع السابق، ص92.

2_ أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه السياسي والاجتماعي، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص120.

3_ آسيا تميم، المرجع السابق، ص92.

4_ عبد الصمد عصماني، محطات من حياة مصالي الحاج قبل اندلاع الثورة التحريرية (بين النشأة والمنفى)، مجلة مدارات للعلوم الانسانية الانسانية والاجتماعية، العدد 6، 2022، ص 13.

5_ المرجع نفسه، ص 12-13.

6_ بشير بلاح، المرجع السابق، ص 489.

شارك مصالي الحاج في عدة مظاهرات شعبية ضد قانون التجنيد الإجباري وكان يستمع إلى خطب الشيخ جلول شلبي في الجامع الكبير بتلمسان التي تحرض السكان على رفض هذا القانون ويدعوهم للهجرة إلى البلاد الإسلامية كي لا يقعوا تحت طائلته فيقاتلوا في جيش الكفار[1].فقد شاهد هذه السنة أهل مدينة تلمسان وهم يهاجرون هجرة شبه جماعية، تاركين مدينتهم فرارا من جور الاستعمار، متجهين إلى المشرق العربي الإسلامي، حيث استقر بعضهم في تونس وتابع أكثرهم هجرته إلى بلاد الشام[2].

ففي سنة 1918 استدعي مصالي الحاج إلى الجندية، وحينها كانت الحرب العالمية الأولى في نهايتها، فغادر الجزائر في أفريل إلى فرنسا وحارب على الجبهة الأوروبية، ثمّ استقر في بوردو[3].

وفي نهاية سنة 1920 عاد مصالي الحاج[4] إلى الجزائر بعد انتهاء الخدمة العسكرية، وقد تصادفت عودته بالنجاح الذي أحرزه الأتراك ضد اليونان، وعمّت الأفراح والمظاهرات في تلمسان وفي نفس الوقت الذي كان فيه مصطفى كمال باشا أعلى للانتفاضة التركية، كان الأمير عبد الكريم الخطابي يوقع هزيمة عدوية على الجيش الاسباني قوامه 60 ألف رجل مدججين بالسلاح سنة 1921.

مثل هذه الانتصارات الإقليمية والجهوية، ساهمت في تشجيع ذلك المراهق على الاطلاع والمعرفة والاحتكاك بالطبقة المثقفة في المدينة، هذا ما جعله سنة 1922 يشهد حدثا محليا تمثل في زيارة الأمير خالد الجزائري لتلمسان وإلقائه ذلك الخطاب الإصلاحي على أنغام النشيد الذي عرفته تلمسان لأول مرة بهذه المناسبة "هيا بنا أهل الوطن، نحيي الفرائض والسنن".

شعر مصالي الحاج أن باريس أن توفر له ولغيره إمكانات الاطلاع العلمي والنشاط السياسي بالإضافة إلى مجالات العمل، وإلى جانب العمل اهتم مصالي الحاج بتثقيف نفسه كمستمع حر للمحاضرات في مدرسة اللغات الشرقية والسوربون والمعهد الفرنسي، مثلما كان يطلع كثيرا كتب التاريخ والسياسة والاقتصاد والفكر، فكان يدون كل ملاحظة أو معلومة جديدة قرأها أو استنتاج توصل إليه من خلال مطالعاته المتنوعة[5].

4. وفاته:

1_ آسيا تميم، المرجع السابق، ص 92.

2_ بسام العسلي، نهج الثورة الجزائرية، الصراع السياسي، دار النفائس، بيروت، 1986،ص 31-32.

3_ عبد الرحمان بالأعرج، المرجع السابق، ص 269.

5_ أنظر الملحق رقم (02).

5_ بشير بلاح، المرجع السابق، ص 485.

في نهاية عام 1972، بدأت قوته تخذله بسبب مرضه[1]، وفي فيفري1974 ساءت حالته قبل نقله الى المستشفى في عيادة شارع اساس، وفي يوم الخميس من نفس السنة توفي مصالي.

اقترب الموت منه بنفس الشجاعة مثل الاحداث التي واجهته بها الحياة ، فأخرج أخيرا من المنفى لإعادته إلى بلدته تلمسان ، وصلت جثته فكان ابنه علي مصالي، وابن اخيه محمد، وابنته جنينه، وصهره، وأحفاد مصالي، عند مغادرة مرسيليا على الساعة 5 مساءا، وصلت الطائرة التي تحمل الجثة على الساعة السادسة ونصف مساءا الى وهران وبعد قيام الشرطة والجمارك بالإجراءات وصل جثمان مصالي الحاج حوالي منتصف الليل فنقل الى منزله، وفي صباح اليوم الموالي تم نقل الجثة الى المسجد وخرج الجزائريون لتشييع جنازته فكانت الساحة مزدحمة بالناس وكانت مئات النساء ينتظرنا على مرتفعات قرب مقبرة تلمسان.[2]

المبحث الثاني: نضاله السياسي

بمجرد قدومه إلى باريس سعى مصالي الحاج إلى إيجاد علاقة مع مجموعة سياسية، وكان في سنة 1923 في المدرسة الوطنية للغات الشرقية قد أقام علاقة مع بعض عرب المشرق الذين كانوا قد أنشأوا ناديا، وهذا النادي كان يقوم بدور نادي اجتماعي أكثر منه منظمة نضالية، فكانوا يلتقون كل جمعة ويبحثون وضعية العالم العربي الإسلامي[3].

كون نفسه ثقافيا بحضور محاضرات بالسوربون وبمعهد اللغات الشرقية وبالاختلاف إلى الأندية الثقافية وفي باريس اعتنق فكرة الأمير خالد أثر محاضرة له بقاعة المهندسين المدنيين برئاسة أحمد بهلول، وانساق وراء الأفكار الديمقراطية التي كانت تروج لها الأحزاب اليسارية المتطرفة[4].

مثلما كان يطالع كثيرا كتب التاريخ والسياسية والاقتصاد والفكر يدون كل ملاحظة أو معلومة جديدة قرأها أو استنتاج توصل إليه من خلال مطلعاته المتنوعة[5]، فانخرط في الحزب الشيوعي وتابع دروسه بوبينه الإطارات[6].

---

1 _ Benjamin Stora, Les Mémoires de Messali Hadj, Revu de l'occident musulman et de la méditerranée, N°36 , 1983, p77.

1_Benjamin Stora, Messali Hadj(1974 -1898),Editions Le harmattan, Paris, 1982, p 281-282.

2_ بنيامين سطورا، مرجع سابق، ص 44 .

3- عبد الحميد زوزو، الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين 1919/1914، دار الديوان للمطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 59.

4_ بشير بلاح، المرجع السابق، ص 486.

6_ عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، 60.

1. تأسيس نجم شمال إفريقيا:

يعود فضل في إنشاء هذا التنظيم النقابي التعاوني إلى المهاجرين الجزائريين بفرنسا الذين احتكوا بمنظمات اليسار الفرنسي وتأثروا بدعوة المنظمات الشيوعية الدولية لمؤازرة كفاح الشعوب المضطهدة، وقد اهتم الحزب الشيوعي الفرنسي بالمهاجرين الجزائريين، ومساندتهم في إنشاء هيئة إغاثة أبناء شمال إفريقيا[1].

هناك اختلاف حول تاريخ إنشاء هذا الحزب وحول مؤسسه فهناك من يرجع بداية نشأته إلى سنة 1924 إثر اقتراح من الأمير خالد في شكل جمعية سياسية تحمل اسم نجم الشمال الإفريقي الإسلامي[2].

لقد اتّفقت أغلب المصادر على سنة 1926 كتاريخ تأسيس "نجم الشمال الإفريقي"[3].

أسس مصالي الحاج معيّة عمّال الجزائريين ومغاربة وتونسيين منظمة "نجم شمال إفريقيا" في عام 1926 بهدف الدفاع عن مصالح عمال شمال إفريقيا في فرنسا والعمل من أجل تحرير المغرب العربي كلّه من نير الاستعمار الفرنسي الغاشم[4].

وانشغل علي عبد القادر بتجارته وأسس مصالي الحاج الزعيم الفعلي لهذه الحركة، وقد انسحب منها القادة التونسيون والمغربيون لتصبح منظمة جزائرية خالصة[5].

وأسست جريدة الأمة للتعبير عن أهدافها وإبلاغ صوت شعوب المغرب العربي إلى ضمير الشعب الفرنسي، وأخذت من هذا الحين تظهر وتبرز فكرة الاستقلال لبلدان شمالي إفريقيا والمطالبة بتحقيقه صريحا[6].

شارك مصالي في مؤتمر الشعوب المناهضة للاستعمار الذي انعقد في بروكسل ببلجيكا في عام 1927 إلى جانب شخصيات ثورية بارزة منها بطل الثورة الفيتنامية هوشي منه[7].

1_ مقلاتي عبد الله، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، 2014، ص 164.

2_ ربيحة زيدان، جبهة التحرير الوطني، جذور الأزمة FLN، دار الهدى، الجزائر، 2002، ص 65.

3_ محمد قنانش، المسيرة الوطنية وأحداث 8 ماي 1945، منشورات دحلب، الجزائر، 2000، ص 25.

4_ آسيا تميم، المرجع السابق، ص 94.

5_ مقلاتي عبد الله، المرجع السابق، ص 164.

6_يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية، 1954/1830، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 82.

7_ بشير بلاح، المرجع السابق، 487.

يعتبر مؤتمر بروكسل حدث سياسي على الصعيد العالمي، فلم يسبق في تاريخ الاتفاقية أن اجتمع الضعفاء ليندّدوا بالأقوياء، فلقد كان المؤتمر يمثل ثمانية ملايين من العمال المشتركين في النقابات المختلفة[1].

عرف مصالي الحاج في المؤتمر العالمي بقضية الجزائر والمغرب عموما وطالب باستقلالها من فرنسا وفتح مصالي الحاج بذلك صداما مباشرا بين نجم شمال إفريقيا والسلطات الاستعمارية الفرنسية التي سمعت خطابا جديدا وثوريا لم تسمعه منذ عقود لأن تلك الفترة لم يجرؤ أحد من الجزائريين على المطالبة باستقلال الجزائر، وهذا الموقف الثوري جعل من مصالي الحاج أول داعية للاستقلال الوطني في القرن 20م [2].

إن نجم الشمال الإفريقي الممثل لمصالح الجماهير العمالية لسكان الشمال الإفريقي تطالب الجزائريين بتحقيقي المطالب الآتية: وتطلب من المؤتمر أن يتبناها:

- استقلال الجزائر.
- جلاء قوات الاحتلال الفرنسية.
- تأسيس جيش وطني.
- حجز الأملاك الفلاحية الكبيرة التي استولت عليها الاقطاعيون عملاء الامبريالية والمعمرون، والجمعيات الرأسمالية الخاصة، وإرجاع الأراضي المحجوزة على الفلاحين الذين سلبت منهم.
- احترام الأملاك الصغيرة والمتوسطة.
- الإلغاء الفوري لقانون الأنديجينا والقوانين الاستثنائية.
- العفو لمن هم في السجون أو تحت الإقامة الإجبارية أو المعبدون.
- حرية الصحافة والجمعيات والاجتماعات.
- التمتع بالحقوق السياسية والثقافية المعادلة لما يتمتع بها الفرنسي في الجزائر.
- إنشاء مدارس للعربية.

1_ محمد قنانش ومحفوظ قداش، المرجع السابق، ص 46.

2_ آسيا تميم، المرجع السابق، ص 94.

- التمتع بحق التعليم في جميع المراحل[1].

برنامج نجم شمال إفريقيا (1955) الذي صوتت عليه الجمعية العامة (28 مايو 1933):

الجزء الأول:

- الإلغاء الفوري لقانون الأهالي البشع كالإجراءات الاستثنائية.
- العفو عن كل الذين سجنوا أو وضعوا تحت حراسة خاصة أو تمّ نفيهم بسبب مخالفتهم لقانون الأهالي أو من أجل جنحة سياسية.
- حرية السفر المطلقة إلى فرنسا وإلى الخارج.
- حرية الصحافة والجمعيات والتجمع والحقوق السياسية والنقابية[2].
- تبديل الممتلكات المالية المنتخبة بالاقتراع الخاص ببرلمان وطني جزائري منتخب بالاقتراع العام.
- إلغاء البلدية المختلطة والمناطق العسكرية وتبديل هذه التنظيمات بمجالس منتخبة بالاقتراع العام.
- ارتقاء كل الجزائريين إلى كل الوظائف العمومية بدون تمييز، وظيفة متساوية وراتب متساوي للكل.
- التعليم الإجباري باللغة العربية، للارتقاء في التعليم إلى كل المراحل، إنشاء مدارس عربية جديدة يجب أن تنشر كل العقود الرسمية مباشرة باللغة العربية والفرنسية.
- وفيما يخص الخدمة العسكرية يجب احترام الآية القرآنية احتراما كاملا والذي تقول ما معناه "من يقتل نفسا مسلمة متعمدا مصيره جهنم وغضب الله عليه ولعنة".
- تطبيق القوانين الاجتماعية والعمالية والحق في البطالة للعائلات الجزائرية في الجزائر والمنح العائلية والمنح الفوري للتأمينات الاجتماعية.
- توسيع القرض الفلاحي للفلاحين الصغار وعقلنة تنظيم الري تطوير وسائل الاتصال ومساعدة الحكومة لضحايا المجاعات الدورية بصفة مجانية (أي لا تسترجع).

الجزء الثاني:

- الاستقلال الكامل للجزائر.
- السحب الكامل لقوات الاحتلال.

1_ محمد قنانش ومحفوظ قداش، المرجع السابق.

2_ محفوظ قداش، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830-1954، تر: محمد المعراجي، الأكاديمية الجزائرية للمصادر التاريخية، الجزائر، 2008، ص 305.

- تكوين جيش وطني[1].

2. تأسيس حزب الشعب:

جاء حزب الشعب الجزائري ليواصل المشوار السياسي الذي بدأه النجم وقد تأسس هذا الحزب الجديد[2] بنانتير (باريس) يوم 11 مارس 1937، وأعيد تشكيل الخلايا السرية دون أن تنال حملة القمع من عزيمة المناضلين، وهكذا يتوقف النضال في سبيل الاستقلال بل ازداد قوة وتبنى الحزب في عام 1938 برنامجا يدافع عن المطالب السياسية الآتية[3]:

- معارضة سياسة الاندماج.
- معارضة مشروع "بلوم فيوليت".
- النضال من أجل تحقيق سيادة واستقلال الدولة الجزائرية.
- محاربة الاستعمار المحلي والعالمي بكل أشكاله ومورده[4].

جاء هذا الحزب ليعبر عن تطلعات الشعب الجزائرية، وتكون قاعدته هي القاعدة الشعبية خاصة بعدما قرر مصالي ورفقائه تحويل الحزب إلى الجزائر إلى خلية الصراع، هذا الصراع الذي أخذ الطابع الهيكلي والعصري الذي ينطبع أن يواكب كل التطورات المستجدة التي تحصل في الجزائر دون اغفال ما يقع في الخارج الذي يساعد العمل الداخلي[5].

وقد حاول مصالي الحاج التقرب من قادة جمعية العلماء والمنتخبين لإقناعهم بتجاوز مطالب الإدماج، وواصل تعبئة الجزائريين بخطابه الحماسي، ودخل حزب الشعب انتخابات جوان 1937 وكانت تجربة مفيدة لمناضليه[6].

أنشئ الحزب الجرائد كجريدة حزب الشعب[7] الناطقة باللغة العربية وجريدة الأمة[8] التي كانت تصدر باللغة الفرنسية[9].

1_ المرجع نفسه، ص 300-306.

2_ رمضان عثماني، المرجع السابق، ص 232.

3_ مقلاتي عبد الله، المرجع السابق، ص 166.

4_ ربيحة زيدان، المرجع السابق، ص 72.

5_ رمضان عثماني، المرجع السابق، ص 231.

6_ مقلاتي عبد الله، المرجع السابق، ص 167.

4_أنظر الملحق رقم (03).

5_أنظر الملحق رقم (04).

9_ رمضان عثماني، المرجع السابق، ص 232.

أصدرت فرنسا قرار يقضي باعتقال مصالي الحاج يوم 23 أوت 1937 وبعض رفقائه منهم مفدي زكريا مما أدى إلى حدوث مصادمات عنيفة بين الشرطة وأعضاء الحزب، وخلال تواجد مصالي الحاج في السجن استسلم زمام القيادة في باريس راجف بلقاسم الذي كان يسير الحزب بناء أعلى نصائح مصالي[1].

وصدر الحكم على مصالي الحاج بالسجن لمدة عامين وتجريده من كافة حقوقه المدنية والسياسية، وصدرت أحكام مماثلة على بقية المعتقلين من أفراد حزب الشعب وقادته[2].

كان لحملة القمع منه أثر بارز في تزايد شعبية حزب الشعب وترسيخ أفكار الاستقلالية لكن اقتراب اندلاع الحرب العالمية الثانية رأت فرنسا أنّه من الضروري القضاء على المعارضة الداخلية المواجهة ضد الحكومة الفرنسية فصدر في 26 سبتمبر 1939 مرسوم يقضي بحل حزب الشعب الجزائري، لينتقل مصالي الحاج فيما بعد إلى العمل السري طوال فترة الحرب العالمية الثانية، مما أدّى باعتقاله في أكتوبر 1939، حيث صدر في حقه حكم في 28 مارس 1941 بالأعمال الشاقة لمدة 16 سنة والابتعاد عن الأراضي الجزائرية لمدة 20سنة وبغرامة قدرت بـ 30مليون فرنك مع مصادرة أملاكه الشخصية[3].

3. حركة انتصار الحريات الديمقراطية 1944:

بعد إصدار مؤتمر العفو من قبل السلطات الاستعمارية عام 1966 أطلق سراح مصالي الحاج في 20 جوان 1946، إذ خيرته الحكومة العامة ببرازفيل الإقامة في الجزائر بشرط أن يمنع من التنقل في مدينة الجزائر ومدنها، أو يختار الإقامة بفرنسا وله حرية التنقل فيها إلا أنه اختار الجزائر وقبل عودته من ببرازفيل إلى الجزائر ثم نقله إلى فرنسا[4].

1_ محمد شبوب، تطور الاتجاه الاستقلالي في الجزائر من 1926 إلى 1936، عصور ع 26، 27 جويلية، ديسمبر 2015، ص 334.

2_ بسام العسلي، المرجع السابق، ص 39.

1_ عبد المالك جويبة، أبطال وشهداء الثورة الجزائرية مصالي الحاج، وزارة الثقافة، 2014، ص 12.

2_ بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص 193-194.

3_ المرجع نفسه، ص 194.

وبعد عودته إلى الجزائر يوم 13 أكتوبر 1946 شرع مصالي في الفصل من أجل طماعة تأسيس حزب الشعب الجزائري من جديد.

وعمل مصالي على مسألتان وأهمها:

العمل من أجل الاعتراف بشرعية حركته والموقف الذي يجب اتّخاذه من الانتخابات القادمة رغم تعرفه على القادة الجدد لحزب الشعب الجزائري، فكان عليه خوض معركة سياسية بعد تسع سنوات من الغياب[1].

تصادفت عودته مع تنظيم الانتخابات التشريعية، فاجتمعت اللجنة المركزية لحزب الشعب برئاسته في شهر أكتوبر 1946 المنظر في قضية المشاركة في هذه الانتخابات أو عدمها، ومن خلال الاجتماع برز رأيان متباينان تماما[2]:

- رأي دعى إلى المشاركة وتبناه مصالي وأتباعه.

- ورأي آخر دعى إلى مقاطعة الانتخابات والذي تبناه السيد لحول[3] حيث برز مصالي موقفه بضرورة استغلال الفرصة الجديدة، المتاحة قانونا من أجل عرض القضية الجزائرية أمام الرأي العام الفرنسي، وهكذا وضعت أغلبية الأعضاء في اللجنة المركزية أمام خيار صعب فإما المشاركة في الانتخابات وإما الدخول في مجابهة مع مصالي، واستمرت المناقشات ثلاثة أيام بلياليها وبالرغم من تحفظات اللجنة المركزية إلا أنها فضلت الأخذ بالمبررات التي قدمها مصالي، ورجعت الكفة لمصالي الحاج وأنصاره إذ تقرر الخوض في الانتخابات إلّا أن الإدارة الفرنسية طلبت تقديم قائمة جديدة باسم آخر هو حركة انتصار الحريات الديمقراطية، هذه الحركة ولدت وبصفة رسمية في 10 نوفمبر 1940[4]، وما كانت سوى غطاء رسمي لحزب الشعب الجزائري الذي ظلّ ينشط في السرية (واجهة شرعية قانونية أمام السلطات الاستعمارية)[5].

1_ عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر العاصمة (1830-1962)، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014، ص 362.

2_عمار هلال، المرجع السابق، ص 362.

3_ بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، تر: مسعود حاج مسعود، ط 2، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 162.

4_ خالفة معمري، عبان رمضان، تع: زينب زخروف، ط 2، منشورات تالة، الجزائر، 2008، ص 127.

5_ الأمين شريط، التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية 1939-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص 58.

وشاركت حركة انتصار الحريات الديمقراطية في انتخابات العاشر من نوفمبر 1946، إذا حقق مصالي نجاحا نسبيا ما دفع به إلى معاودة نشاطاته الشرعية[1].

كما أن مصالي الحاج أن يحصل على 5 مقاعد في الانتخابات التشريعية مثلها النواب (محمد خيضر، جمال دردور، الأمين دباغين، مسعود بوقادوم وأحمد مزغنة)[2].

انفجرت الأزمة في ماي 1951 خلال اجتماع اللجنة المركزية بعد أن قرر الحزب المشاركة مع الأحزاب الوطنية الأخرى في إقامة جبهة وطنية موحدة، وعندما سماع مصالي الحاج بذلك أبدى تحفظاته على هذا الاتفاق واعتبره متضاربا مع برنامج حزبه الذي ينص على إنشاء برلمان جزائري مستقل، لتتسع الصورة بين طرفي الحزب المركزيين والمصاليين سعيا لكل منها للسيطرة على الحزب وفق قناعات نضالية معينة[3].

المبحث الثالث: أفكاره وآثاره

اعتمد مصالي الحاج في توصيل أفكاره وتوضيح مواقفه وترك أثره من خلال الأحداث على الصحافة والخطب والرسائل.

1. الصحافة:

اعتمد مصالي الحاج لنشر أفكاره على الجرائد نذكر منها:

ـ **الإقدام الباريسي والإقدام الشمال الإفريقي:** أصدر النجم أول جريدة شهرية بالجيش بعنوان الإقدام الباريسي لكنها منعت على الفور بقرار وزاري بتاريخ أول فيفري 1927[4] لاحتوائها على صفحة بالعربية[5].

1_ الأمين شريط، المرجع السابق ، ص 58.

2_ عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 312.

3_ عبد المالك جويبة، المرجع السابق، ص 13.

4_ عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 103.

5_ محمد قنانش ومحفوظ قداش، نجم الشمال الإفريقي، ص 45.

فوضها النجم بإصدار اقدام الشمال الإفريقي في الأشهر الأولى من سنة 1927 كانت لهجة إقدام الشمال الإفريقي الباريسي شديدة جعلت السلطات تمنع بيعها في المغرب الأقصى وكذلك كانت لهجة الإقدام الشمال الإفريقي التي خصص عددها الصادر في ماي 1927 لفضح مساوئ الاستعمار الفرنسي.

كما نشرت بنفس العدد المطالب التي تقدم بها الشاذلي خير الله إلى مؤتمر بروكسل باسم تونس، أما عدد جوان وجويلية 1927 فقد تضمن بيانا باسم النجم إلى الأفارقة الشماليين في الجزائر وتونس والمغرب يدعوهم إلى الوقوف ضد الحرب الدائرة في المغرب آنذاك، وفي عدد ديسمبر 1927 وجهت اللجنة دعوة إلى الثورة ضد فرنسا[1].

وقد لقيت نفس المصير، وعطلت في 1928 ويقال أن هناك ثالثة توقفت في عددها الأول[2].

ـ **الأمة:** جريدة وطنية سياسية أسسها نجم شمال إفريقيا، كانت وسيلة لنشر أفكار الاستقلال والتضحية، صدر أول عدد صحافي شهر أكتوبر 1930، وفي 1937 منحت الحكومة النجم وواصلت الجريدة نشاطها حتى عوض النجم في نفس السنة بحزب الشعب ولم تتوقف إلا في سنة 1939 مع بداية الحرب العالمية الثانية[3].

ـ **مذكرة الأمين العامة لجمعية الأمم المتحدة:** لقد قام مصالي الحاج بمبادرة جريئة في تاريخ القضية الجزائرية إذ كتب نجم شمال إفريقيا مذكرة إلى عصبة الأمم المتحدة عرض فيها تقرير عن وصفية الجزائريين والاحتلال الفرنسي للجزائر والمأساة التي تعيشها الشعب تحت نظام الاستعمار وأرسل هذا التقرير سنة 1930 جانفي وكانت الرسالة تندد بالاضطهاد والاستغلال وطرح فيه فكرة الاستقلال، وكان ذلك بمناسبة الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر، وكان هذا التقرير الذي نشر فيه إحصائيات بلغة الأرقام كشف عن حجم المأساة الجزائرية التي ضمّت عنها العالم[4].

1_ عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 103.

2_ عبد المالك جويبة، المرجع السابق، ص 45.

3_ زهير احدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 41.

4_ محفوظ قداش ومحمد قنانش، المرجع السابق، ص 77.

2. **الخطب:** كان مصالي الحاج يتمتع بالفصاحة والوضوح وقوّة الذاكرة.

في مؤتمر بروكسل ألحق مصالي أول خطاب له فكان خطيب ومجادلا حادا، ومن هنا بدأت علاقته بالحزب الشيوعي الفرنسي لأنه كان يعمل بمفرده، فقد كان يبدو كرجل في حالة تمرد دائما ضد العبودية، ووضع النجم على أرضيته الوطنية الثورية على نحو مستقل عن الحزب الشيوعي وتحت تأثير لقاءات بروكسل وتجاربه، بدأ بفرض نفسه كقائد يبرهن على الجرأة واتحاد المباريات[1].

كما كان تصريح مصالي الحاج حول تعسف الامبريالية الفرنسية في الجزائر وتبيين المطالب الأساسية للجزائريين وأهمها مطلب الاستقلال[2].

استغرق خطابه 15 دقيقة واستمع المؤتمر إليه باهتمام وجلب تصفيقا حادا في الجزء الذي يعالج فيه المطالب الفورية والبرنامج السياسية[3].

ـ **نداء مصالي الحاج إلى الأمة الجزائرية:** صدر في الجزائر بعد رجوعه إلى فرنسا في صفحة كبيرة وزع بالجزائر كلها، من مصالي الحاج إلى الأمة الجزائرية الكريمة.

كان هدف مصالي هو جعل فكرة الاستقلال هي أساس نضاله خاصة وأنه ربط الحرية بالعقيدة الإسلامية التي جعلت الإنسان حرّ وكرامته وقد تجسّدت وطنيته في العمل على تحقيق سيادة الشعب الجزائري على نفسه لقد كرس نضاله في المطالبة باستقلال الجزائر وفي سبيل بعث ونشر الروح الوطنية في نفوس السكان الجزائريين كما نجدها تجسّدت في قوله[4]:

"أيها الشعب الجزائري الكريم"

سلام عليك من اين لك أقسم بالله، ومن يضحي في سبيل حريتك، وسعادتك آخر قطرة من دمه، وآخر جزء من روحه .... سلام عليك يا شعب يوم ولدت حرّا عزيزا، ويوم نشأت حرّا شريفا، ويوم تصبح بإذن الله حرّا طليقا ....، وينضر لك من العالمين إيمانك وإسلامك[5].

1_ محمد قنانش، ذكرياتي مع مشاهير، المصدر السابق، ص ص21-25.

2_ محمد قنانش ومحفوظ قداش، المرجع السابق، ص 46.

3_ بنيامين سطورا، المصدر السابق، ص 66.

4_ محمد قنانش، ذكرياتي مع مشاهير، المصدر السابق، ص 37.

5_ عمار نجار، مصالي الحاج الزعيم المفترى عليه، مصالي الحاج الزعيم المفترى عليه، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، 2010، ص 59-60.

خلاصة الفصل:

- نشأ الزعيم أحمد مصالي الحاج في وسط عائلة عربية اسلامية محافظة على القيم الدينية تجلت من خلال رفضه التام للاستعمار الفرنسي.

- توجه احمد مصالي نحو الحياة العملية من اجل مساعدة اسرته، نظرا للظروف المادية الصعبة التي مرت بها اسرته فلجأ الى الاشتغال في عدة حرف رغم صغر سنه.

- خلال فترة تواجده بفرنسا حاول الاحتكاك بالمناضلين في الحزب الشيوعي الفرنسي وكذلك النقابات العمالية من اجل اتباعه طريق سياسي، الا انه بقي متمسكا بمبادئه الاسلامية العربية التي تلقاها من الزاوية الدرقاوية.

الفصل الثالث:

ترجمة لشخصية عبد العزيز الثعالبي

المبحث الأول: نشأته وتكوينه

المبحث الثاني: نضاله السياسي

المبحث الثالث: أفكاره وآثاره

المبحث الأول: نشأته وتكوينه:

1. مولده ونشأته:

هو عبد العزيز بن ابراهيم بن عبد الرحمان الثعالبي، زعيم سياسي، وخطيب ساحر، والكاتب المفكر، والمصلح الإسلامي، والمؤرّخ[1]، ينتسب إلى جده الثالث والثلاثين الشيخ سيدي عبد الرحمان الثعالبي[2]، دفين الجزائر، المعروف بكتابه في تفسير القرآن الكريم بعنوان "الجواهر الحسان"[3]، وجدّه الأول "عبد الرحمان الثعالبي" هو أحد أعلام مدينة الجزائر الذين شهدوا الحملة الفرنسية 1830 وشاركوا في صداها، فعرضت عليه السلطة الفرنسية منصب كبير وهو قضاة الشرع في الجزائر فشغله لمدة سنتين ثم هاجر مع عائلته إلى تونس[4].

ولد عبد العزيز الثعالبي[5] في تونس الخضراء سنة 1874 من أسرة جزائرية الأصل[6]، عاش أحداث الحماية الفرنسية، حيث أن في سنة 1881 أمضى باي تونس معاهدة[7] مع الاحتلال الفرنسي[8]، وكان قد مر مر سبع سنوات على إمضاء المعاهدة أثناء ولادة الثعالبي[9].

1_ محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج 1، دار الغرب الإسلامي، ط 2، بيروت، 1994، ص 213.

2_ عبد الرحمان الثعالبي: ولد عام 786 هـ وتوفي عام 875هـ، من علماء الجزائر خلال القرن التاسع الهجري، له عدة مصنفات منها: الجواهر الحسان، النقاط الدرر، الدر الفائق، الأنوار في معجزات النبي المختار، العلوم الفاخرة في أحوال الآخرة، أنظر: أحمد طرفاوي، المرجع السابق، ص 17.

3_ يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري التونسي، المرجع السابق، ص 92.

4_ أحمد طرفاوي، المرجع السابق، ص 17.

5_ أنظر الملحق رقم(05).

6_ ميرى بصري، أعلام الوطنية والقومية العربية، دار الحكمة، لندن، 1999، ص 121.

7_ معاهدة باردو: وهي معاهدة وقعها باي تونس 1881 مرغما مع الجيوش الفرنسية المحتلة، ينظر: عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، المصدر السابق، ص 6.

8_ أحمد غريسي وعبد الوهاب شلالي، النضال السياسي لدى عبد العزيز الثعالبي ومصالي الحاج، دراسة تاريخية مقارنة، المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية، مج 13، ع 1، س 13، جانفي 2021، ص 702.

9_ عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، المصدر السابق، ص 5.

- نشأته:

بعد هجرة عائلته إلى تونس، تربى عبد العزيز الثعالبي هناك وتلقى تربية تقليدية، حفظ القرآن بكتاب حرمة الأندلس ودرس التعاليم الأولى لقواعد النحو والبلاغة والأدب[1]، ثم انخرط في إحدى المدارس الابتدائية بتونس وهي مدرسة "باب السويقة" أدخله والده إلى جامع الزيتونة وعمره لا يتجاوز الرابعة عشر ليتعلم العلوم الدينية المختلفة وعلم الكلام والفلك والمنطق والرياضيات والنحو والصرف والأدب العربي، ومن أساتذته الشيخ مصطفى بن خليل في الفلسفة، والشيخ السماتي في الرياضيات[2].

وقد كان مهتما وشغوفا بالمطالعة والدروس، وامتاز بنباهته وذكائه على أقرانه، ولكنه فارق جامع الزيتونة قبل إتمامه الدراسة والحصول على شهادة التطويع وهي الشهادة المتوجة للدراسة بالجامع، وكان يتردد على المدرسة الخلدونية[3]، حتى حصل على الدراسات العليا[4]، وقد تمكن من خلالها الإلمام بأحوال البلاد والسياسة الاستعمارية التي كانت فرنسا تمارسها ليتأثر الثعالبي بالتيارات الاسلامية التي ظهرت في المشرق العربي، خاصة تلك التي مثلها "محمد عبده" و"جمال الدين الأفغاني" ومن بين أساتذته المصلحين "سالم بوحاجب" و"علي شوشة" وقد امتاز الثعالبي منذ حداثة سنة بالذكاء، والاندفاع بغزارة المعرفة والاشعاع، انضم إلى الحزب الوطني الإسلامي وكتب في العديد من الجرائد والصحف مما جعل السلطات الفرنسية تضيق عليه الخناق[5].

2. تكوينيه السياسي:

تأثر عبد العزيز الثعالبي في تفكيره بآراء الشيخ محمد عبده الذي أدى زيارته الأولى إلى تونس في سنة 1884، وكان الثعالبي آنذاك صغير السن، ثم أصدر في سنة 1896 جريدة "سبيل الرشاد"[6] المماثلة في اتجاهها لمجلة "العروة الوثقى" التي أصدرها الشيخ جمال الدين الأفغاني في تلك الحقبة الزمنية[7].

1_ زهير الذوادي، الوطنية وهاجس التاريخ في فكر الشيخ عبد العزيز الثعالبي، دار نقوش عربية، تونس، 2014، ص 10.

2_ يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري، المرجع السابق، ص 93.

3_ المرجع نفسه، ص 93.

4_ أشرف محمد عبد الرحمان مؤنس، الشيخ عبد العزيز الثعالبي والنخبة السياسية والفكرية في مصر (1924_1931)، صحيفة الشورى، مج 55، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة، 2021، ص 256.

5_ عبد العزيز الثعالبي، سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية 138هـ، 750م، تح: حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1995، ص 24.

5_ الملحق رقم(06).

7_ " " " "، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، تح: أحمد بن ميلاد، تق: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، الإسلامي، بيروت، 1990، ص 08.

ولما سافر الثعالبي إلى الاستانة ومصر ثم عاد بذلك المظهر الغريب يتكلم بأفكار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ويشيد بحسن حسني الطوراني وعلي يوسف وعبد الرحمان الكواكبي، يدعو إلى التطور والحرية وفهم أسرار الوجود وأسرار الدين، ويعرب بكلام عربي بمقالات الحكماء الغربيين من الفلاسفة والطبيعيين فأصبح زعيما عظيما وركنا من أركان الفكر في العالم الإسلامي كله ل في البلاد التونسية فحسب[1].

لم يكد يرجع من مصر حتى أحاطت به هالة من العلم والأدب، أصبحت ألزم له من ظله، فكان ينتقل بهم في مجامع العاصمة التونسية، ناديا يسارا مأخوذين بحلاوة تغيره وفصاحة منطقه وقوة عارضته ومقدرته على تحليل المواضيع ما أدى بكبار الشيوخ الناقصين للتطور لمقاومته ومقاومة الخلدونية مقاومة لا هوادة فيها[2].

ـ أهم الصعوبات التي واجهها:

وعند عودة الثعالبي إلى تونس أحاط به أهل العلم والأدب، وكان يحلل لهم مواضيع إصلاحية وسياسية وسائل الخلاف بين الصحابة والأولياء وأصحاب الكرامات ما أدى إلى سخط كبار الشيوخ الناقمين على هذا التطور، فثاروا ضدّه[3]، ونصبوا له العداء واتّهموه بالخروج عن الدين الإسلامي ومضايقة المسلمين، فأخذ يدافع عن نفسه ومبادئه عن طريق مؤلفاته "روح التحرر في القرآن"، وبين لهم انحطاط المسلمين يعود إلى البدع المخالفة لدينهم والتي ألصقت بمبادئه البهجة ورغم ذلك حرية آرائه من السلطات الفرنسية لأنهم كانوا يرفضون أي إصلاح يرفع من شأن المسلمين لتقم السلطات الفرنسية بتنصيب أعداء له[4].

3. رحلاته التكوينية:

- **الجزائر**: كانت أول رحلة للثعالبي إلى الجزائر (موطن آبائه وأجداده) في سنة 1895 وزار أهم مدنها ودرس طرق عيش الجزائريين[5]، ودامت مدتها شهرين فزار خلالها الجزائر العاصمة عنابة وقسنطينة[6] وسكيكدة وسوق أهراس وسطيف، زارها كلها على التوالي[7]، لكن الظاهر أنه جاءها بنية العمل الصحفي

1_ محمد الفاضل بن عاشور، أعلام الفكر وأركان النهضة في المغرب العربي، دار السلام، تونس، 2020، ص 143.

2_ الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 33.

3_ المرجع نفسه، ص 34.

4_ يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية، المرجع السابق، ص 132.

5_ عبد العزيز الثعالبي: سقوط الدولة الأموية... ، المرجع السابق، ص 26.

6_ أحمد طرفاوي، المرجع السابق، ص 18.

7_ عبد العزيز الثعالبي، سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، المصدر السابق، ص 26.

وغادرها لما تأكّد أنّ الجزائر بلد فرنسي في نظر القانون الفرنسي، يحارب فيه رجال الفكر العربي الإسلامي من جزائريين وغيرهم[1]، إلا أن جهود الاستعمار الفرنسي وإصراره على كبت أي نفس تمكن أن تكون سببا ليقظة وصحوة مستعمراته حالت دون ذلك، لكن الثعالبي لم يستقر بالمنطقة طويلا فقد غادرها مواصلا رحلته شرقا بعد عودته إلى تونس[2]،

فحاول الذهاب إلى مصر لكن الحكومة لم تسمح له بذلك[3].

- **ليبيا**: غادر تونس متنكرا في شهر أوت 1896[4] إلى طرابلس وأقام بين أهل مدينة بنغازي عزيزا مكرّما، غير أنه لم يلبث هناك ففارقها بعد شهرين إلى جزيرة كريت وتعرف على أحوالها خاصة وإنها كانت تعيش حالة استقلال وانفصال عن الدولة المحلية، ثم غادرها أيضا[5]، ثم قصد استانبول عن طريق اليونان وبلغاريا عام 1898، ثم من استانبول غادر إلى مصر[6].
- **مصر**: ثم تحول إلى مصر في نوفمبر 1897، فأقام بها ثلاثة أشهر وحظي باستقبال واحترام كبير من طرف المفكرين والعلماء ورجال الأدب[7]، وفي مقدمتهم الإمام محمد عبده رائد حركة الإصلاح الإسلامية في المشرق العربي، حيث أقام بها فترة لكي يتابع دروسه بالجامع الأزهر الشريف[8]، وأثناء ذلك كتب في صحفها صحفها المشهورة: مثل جريدة المؤيد ومجلة الموسوعات، كشف فيها عن الأحوال السياسية والاجتماعية بتونس[9].

وبقي الثعالبي بين سنوات "1898، 1902" يتردد بين الاستانة والقاهرة مع زيارة بلدان إسلامية من الحين إلى الآخر فزار كذلك العراق وسوريا والسودان، كما زار بلدان أوروبية كالنمسا وإيطاليا، وكان خلال إقامته بمصر يحضر دروس جامع الأزهر خاصة المحاضرات الفلسفية واللغوية وتفسير القرآن والأحاديث النبوية ومختلف النظم السياسية والفكرية التي كان يجهلها[10]، فاتصل بالكتاب والباحثين وربط علاقات بجميع الأقطار حيث عرف بكونه خطيبا مصقعا وكاتبا بارزا وعالما جليلا، واشتهر بالخطب التي ألقاها في

1_ يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري التونسي، المرجع السابق، ص 94.
2_ صالح الخرفي، عبد العزيز الثعالبي من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص 65.
3_ يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري التونسي، المرجع السابق، ص 95.
4_ عبد العزيز الثعالبي، سقوط الدولة الأموية... ، المصدر السابق، ص 26.
5_ يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري التونسي، المرجع السابق، ص 95.
6_ أشرف محمد عبد الرحمان مؤنس، المرجع السابق، ص 257.
7_ عبد العزيز الثعالبي، سقوط الدولة الأموية... ، المصدر السابق، ص 28.
8_ أشرف محمد عبد الرحمان مؤنس، المرجع السابق، ص 257.
9_ أحمد طرفاوي، المرجع السابق، ص 19.
10_ يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري التونسي، المرجع السابق، ص 97.

الفيوم، وزار أيضا عدة مدن مصرية وترك انطباعا طيبا عندما انتدب للقيام ببعض الأعمال، فقام بإنشاء هيئة لتأليف كتاب حول "تاريخ الإسلام العام" ليعود إلى وطنه تونس سنة 1902 لينخرط في العمل السياسي[1].

- **الهند**: ترشح الثعالبي للذهاب إلى الهند للتحقيق حول أحوال المسلمين والمنبوذين هناك ودراسة إمكانية ووسائل نشر الإسلام بين القبائل المنبوذين وإقامة علاقة طيبة بين مختلف فصائل النضال الوطني الهندي، فكان بذلك يزرع بذور الوطنية في كل حقل تطوله يده وعزيمته المتوقدة[2].

رحلات الثعالبي إلى الهند من أهم الرحلات التي قام بها في حياته[3]، فكانت رحلته الأولى إليها سنة 1913[4]، فاعتبرها بلاد الغرائب والعجائب وجد فيها ملايين الناس، وآلاف البيئات، ومختلف اللغات والأديان، فاهتم خلال هذه الرحلة بطبقة المنبوذين داعيا إلى العمل على إدخالهم في الإسلام[5]، فزار عاصمة الهند "دلهي"، ثم انتقل إلى "صحراء الهند" و"البنجاب"، و"بومباي"، ثم غادرها في نهاية شهر جويلية 1913 إلى مدينة "عدن" باليمن[6].

بما أن حالة مسلمي الهند السياسية والاجتماعية والاقتصادية لم تسر المسلم الغيور ولا ترضيه فقد زار الثعالبي الهند خمس مرات في خلال الربع قرن الأخير زارها للمرة الأولى قبل الحرب سنة 1913 ثم زارها سنة 1925 ثم سنة 1930 ثم سنة 1936 وفي كل مرة يجد ثروة المسلمين في تناقص وعدد الذين يشتغلون منهم بالتجارة في تدني[7].

- **فرنسا**: قام الثعالبي بهذه الرحلة وتزامن مجيئها بعد إعلان الرئيس الأمريكي "ولسن" مبادئه المتمثلة في حق الشعوب في تقرير مصيرها متزعم وفد إلى باريس من أجل عرض قضية الشعب التونسي على المجتمعين[8] في "مؤتمر الصلح" بباريس في عام 1919، فقدم لهم مذكرة تتعلق باستقلال تونس وتطالب بتطبيق مبادئ ويلسن الأربعة عشر ونشر في باريس كتابا بالفرنسية تحت عنوان (تونس الشهيدة) فضح

1_ عبد العزيز الثعالبي، سقوط الدولة الأموية...، المصدر السابق، ص 29.

2_ زهير الذوادي، المرجع السابق، ص 26.

3_ صالح الخرفي، عبد العزيز الثعالبي من آثاره وأخباره، المرجع السابق، ص 363.

4_ المرجع نفسه، ص 366.

5_ المرجع نفسه، ص 368، 370.

6_ عبد العزيز الثعالبي، سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، المصدر السابق، ص 36.

7_ صالح الخرفي، المرجع السابق، ص 377.

8_ أحمد خالد: الزعيم عبد العزيز الثعالبي وإشكالية فكره السياسي، الدار العربية للكتاب، تونس، 2001، ص 143.

فيه دسائس الاستعمار وإجرامه في حق شعب تونس العربي، فتلقت الجماهير والمثقفون في المغرب العربي كله ذلك الكتاب الذي يفضح الاستعمار الفرنسي وأساليبه فاعتقلته السلطات الفرنسية[1].

لما استقر بباريس ابتداء من 10 جويلية 1919 حاول لفت اهتمام كبير للقضية التونسية، وبما أنه كان يجهل اللغة الفرنسية فقد اعتمد على الطلبة التونسيين الذين كانوا على صلة بعدد كبير من الفرنسيين في العاصمة **الفرنسية**[2]، ولقد كان أكثر الرجال مضايقة من قبل الحماية لأنه حاول إيضاح طموح الشعب التونسي من خلال مطالبه فقام الاحتلال باعتقاله في أكتوبر 1920 ودام هذا الاعتقال حوالي تسعة أشهر[3]، وتم الإفراج عنه في 01 ماي 1921[4].

- **اليمن**: كانت أول رحلة للثعالبي إلى اليمن في 02 أوت 1924 حيث وصل إلى عدن قادما من جدة وهنا بدأت الرحلة اليمنية ومن 02 أوت إلى 13 أوت: أقام بعدن واتّصل برجال الفكر العدنيين، وبعد ذلك سافر إلى صنعاء للاجتماع مع الإمام يحيى والمسؤولين اليمنيين، فأصيب الثعالبي بحمى المستنقعات في طريقه إلى صنعاء في 31 أوت 1924، وبعد ذلك عاد إلى عدن وفي 17 أكتوبر 1924 تمت مغادرتها في اتجاه الهند لحضور المؤتمر الذي عقدته جمعية العلماء المسلمين في مدينة مراد أباد في جانفي 1925[5].
- **الكويت**: ثم توجه إلى الكويت عام 1925[6]، نزل ضيفا كريما على آل خالد الكرام، وهناك مدها بسلك بسلك كهرباء الحياة، وأجرى فيها روح الحركة والنشاط وتركها متحفزة لنهوض مدهش وتقدم غريب بكثرة جوده على المحتاجين وفي مجالسه وخطبه البليغة التي تفضل بها في احتفالات الكويتيين به، فأقاموا له احتفالات شيقة في المعاهد العلمية والأدبية، تكبيرا لقدره وتقديرا لفضله[7].

1_ الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 54.

2_ أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 499.

3_ رابح فلاحي، المرجع السابق، ص 111.

4_ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، مج 14 (التاريخ المعاصر بلاد المغرب)، المكتب الإسلامي، ط 2، عمان 1996، ص 134.

5_ عبد العزيز الثعالبي، الرحلة اليمنية (12 أغسطس، 17 أكتوبر 1924)، تق وتح: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 14.

6_ أحمد طرفاوي، المرجع السابق، ص 21.

7_ عبد العزيز الرشيد، تاريخ الكويت، ط م: يعقوب عبد العزيز الرشيد، مكتبة الحياة، لبنان، 1978، ص 355.

➢ **العراق:** استقر به المقام في العراق حتى أصبح أستاذا في جامعات بغداد سنة 1925 إلى سنة 1930، ولما رأى العراقيون فصاحته المتقطعة النظير، انتدبه العراق للإشراف على البعثة الطلابية العراقية إلى مصر، فمثل العراق في "مؤتمر الخلافة" بمصر سنة 1925 الذي دعى إليه الشيخ الأزهر عقب إسقاط الخلافة، ثم ترك الثعالبي العراق إلى مصر، ومنها سافر إلى الصين وسنغافورة وبورما والهند، فأخذ يدعو الناس إلى الإسلام، فدرس حالة المنبوذين في الهندوس، فأسلم على يديه الآلاف من الهنود[1].

ثم رجع إلى مصر ثم زار القدس في ديسمبر 1935، ثم عدن والهند مرة أخرى، ليعود إلى فلسطين في 4 جوان 1937[2]، لتحط به الرحال أخيرا بتونس في 09 جويلية 1937، بعد أن سمحت له السلطات الفرنسية بالعودة[3]، بعد أن جاب العديد من البلدان وتعرف على ثقافة شعوبها وواقعها خاصة تلك الواقعة تحت سير القهر الاستعماري باحثا عن سبل الإصلاح والوحدة والكفاح المشترك[4].

4. وفاته:

توفي الشيخ عبد العزيز الثعالبي يوم غرة أكتوبر 1944[5]، ولم تنشر جريدة الزهرة اليومية خبر وفاته إلا يوم الثلاثاء: ثالث يوم من رحيله، وكتبت تحت عنوان[6] "عبقري يسقط في الميدان"[7]، عن عمر يناهز الثمانين سنة بعد مرض أليم وطويل من العزلة والوحدة[8]، وهذا مقتطف من خبر وفاته: "أمس الأمس، على الساعة العاشرة صباحا، انطفأ مشعل وقّاد من مشاعل المعرفة والنبوغ، وانهد ركن لا يخوض من أركان البراعة والاقتدار، وخفت صوت رنان من أصوات البلاغة القلمية واللسانية، كان دويه يتجاوب الأستاذ والمؤرخ الضليع، والكاتب الكبير، والخطيب المصقع الشيخ عبد العزيز الثعالبي، برد الله ثراه، وجعل الجنة متقلبه ومثواه"[9].

1_ جهاد الترباني، مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، تق: محمد بن عبد الملك الزغبي، دار التقوى، مصر، 2010، ص 431.

2_ كوثر هاشم، منهج الإصلاح في التربية والتعليم عند الشيخ عبد العزيز الثعالبي على ضوء جريدة الشورى المصرية، مجلة قيس للدراسات الانسانية والاجتماعية، مج01 ، ع 02، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، ديسمبر 2017، ص 47.

3_ عبد العزيز الثعالبي، الرحلة اليمنية، المصدر السابق، ص 16.

4_ " " " "، سقوط الدولة الأموية، المرجع السابق، ص 7.

5_ " " " "، سقوط الدولة الأموية، المرجع السابق، ص 7.

6_ الملحق رقم(07).

7_ صالح الخرفي، المرجع السابق، ص 11.

8_ المرجع نفسه، ص 461.

9_ المرجع نفسه، ص 11.

توفي زعيم الحركة الوطنية في تونس وهو أحد المبشرين الأوائل بوحدة الأمة العربية وربط كفاح عرب المغرب بإخوانهم عرب المشرق بعد جهاد دام ما يقارب النصف قرن مسجلا بذلك أروع الصفحات للنضال القومي والوطني على امتداد الوطن العربي كله مشرقا ومغربا باعثا الروح الوطنية والنضالية والقومية في أبناء الأمة العربية فقد كان قدوة لجميع المناضلين من بعده وقد خلفه في القيادة الحرب المرحوم المناضل الزعيم محي الدين القليبي الذي سار بالحركة الوطنية على نفس النهج والمبادئ التي خطها الثعالبي للحركة الوطنية[1].

حيث وصفه الشيخ محمد الفاضل بن عاشور بما يلي: "وكان الشيخ عبد العزيز الثعالبي، بما له من ماض في السياسة والإصلاح الديني، والاجتماعي، والأدبي في بعث معالم النهضة التونسية، وتحديد العمل السياسي في سبيل التحرير، فأصبح الثعالبي زعيم النهضة التونسية المطلق[2].

كما نقلت الصحف العربية نبأ وفاته ورثته في عناوين صحفها، من بينها جريدة "الزهراء" ونشرت كذلك مجلة "الثريا" الأسبوعية كلمة تأبينية تحت عنوان "حداد الأمة التونسية على المرحوم المنعم الشيخ عبد العزيز الثعالبي[3].

كما أقاموا له حفلات تأبين في مختلف أنحاء البلاد العربية والإسلامية كجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة في 9 نوفمبر 1944[4]، ومخيم أبي الطيب بعدن في 5 ذي الحجة 1363 هـ، ألقيت فيها الخطب والقصائد عرفانا بفضل الرجل وإنجازاته[5].

1_ الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 71.
2_ أحمد غريسي وعبد الوهاب شلالي، المرجع السابق، ص 702.
3_ صالح الخرفي، المرجع السابق، ص 12.
4_ المرجع نفسه، ص 463.
5_ كوثر هاشم، المرجع السابق، ص 61.

المبحث الثاني: نضاله ونشاطه السياسي:

نظم المثقفون الإصلاحيون والعصريون صفوفهم منذ سنة 1907، حيث أسس المحامي علي باش حامبة[1] في 07 فيفري 1907 جريدة أسبوعية باللغة الفرنسية "التونسي"[2]، تهدف إلى الدفاع على مصالح الشعب التونسي[3].

وأشرف عبد العزيز الثعالبي على نسخة بالعربية سنة 1909[4]، وقد تأثرت هذه الحركة في نظامها وأهدافها بحركة تركيا الفتاة[5]، حيث لعبت حركة تونس الفتاة دورا قويا وبارزا في الفترة بين 1907-1912، ساهمت ساهمت خلالها في دفع طريق النضال إلى الأمام وذلك عن طريق التمسك بالبعد القومي العربي والتأكيد على عروبة تونس وأنها جزء من الوطن العربي والعالم الإسلامي[6].

وحينما نشبت الحرب الإيطالية التركية سنة 1911 بشأن طرابلس الغرب وبرقة كانت تونس الفتاة لها أهمية كبيرة في الرأي العام العربي الإسلامي في كلّ بلاد المغرب العربي للوقوف في وجه العدو الاستعماري على الإقليم العربي الإسلامي[7]، بل لقد قامت تونس الفتاة ورجالها بدور هام في إمداد المجاهدين الليبيين في ميدان المعركة بما يلزمهم من هدة وعتاد، ولا شك أن هذا الدور يمثل الاتجاه العربي الإسلامي عند تونس الفتاة[8].

1_ علي باش حامبة (1876، 1918) صحفي وسياسي تونسي من أشرة تركية البلاد، تتلمذ في الصادقية وحصل على شهادة ختم الدراسة ثم عمل بها وكيل الإشراف على الإدارة، حصل على إجازة في الحقوق، وأصدر جريدة التونسي باللغة الفرنسية سنة 1907، للمزيد ينظر: الصادق الزمرلي: أعلام تونسيون، تق وتح: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 150، 153.

2_ جريدة التونسي (le tunisien): وهي جريدة تمثل لسان حال حركة الشباب التونسي، وصدر عددها الأول في 07 فيفري 1907، وهي صحيفة ناطقة بالفرنسية تدافع عن مصالح التونسيين لدى الدولة الحامية وبلغتها، للمزيد ينظر: خليفة الشاطر، المرجع السابق، ص 70.

3_ أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 493.

4_ عبد الكريم عزيز، نضال شعب أبي، تونس (1881، 1956)، مركز النشر الجامعي، تونس، 2005، ص 134.

5_ الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 39.

6_ هشام سوادي هاشم، تاريخ العرب الحديث (1516، 1918)، دار الفكر، عمان، 2009، ص 177.

7_ جلال يحي، المغرب الكبير الفترة المعاصرة وحركات التحرير الاستقلال(القسم الثاني للفترة المعاصرة والكفاح والاستقلال)، ط 3، دار القومية للطباعة والنشر، الاسكندرية، 1966، ص 1073.

8_ عبد المجيد كريم وآخرون، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية (مقاربة) 1881_1964، جامعة منوبة، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 2008، ص 39.

1. نضاله السياسي:

ـ عبد العزيز الثعالبي وإضراب طلبة الزيتونة:

بدأ كفاح الزيتونيين من أجل إصلاح التعليم منذ عام 1901، فشكلوا جمعية طلابية خاصة بهم تسمى "جمعية طلبة الزيتونة" في سنة 1907[1]، وساهم الثعالبي مساهمة فعالة في تأسيس "جمعية الآداب" الرامية إلى نشر تمثيل باللسان العربي الفصيح، والجمعية العالمية للموسيقى التي كان يشرف عليها بنفسه سنة 1907، وزار الشيخ الثعالبي طلبة جامع الزيتونة من أجل تحسين حالتهم المادية وإصلاح التعليم الزيتوني سنة 1910[2].

تقدم طلاب الزيتونة بعريضة في 16 أفريل 1910 إلى وزير القلم بعد أن قاموا بمظاهرة هادئة في الزيتونة فقبضت الشرطة على اثنين منهم وتعقدت الأمور فتدخل جماعة جريدة "التونسي" وخطب بالطلاب علي باش حامبة مهدئا ونجح في النهاية بوساطة بينهم وبين الحكم[3]، وقد وجدوا مساندة من الحركة الوطنية، وقد بلغت درجة الوعي حدا كبيرا لدى طلاب جامع الزيتونة الذين عرفوا بنضالهم الضاري وكفاحهم المستميث من أجل إحياء الثقافة العربية وبعثها من جديد[4].

منذ بداية نشاط عبد العزيز الثعالبي الوطني اهتم بمشاكل التعليم، وأيد وشارك في الحركة الاحتجاجية التي قام بها طلبة جامع الزيتونة وإضرابهم سنة 1910، للمطالبة بإصلاح التعليم الزيتوني، حيث كان مع الطلبة متظاهرين أمام قصر الحكومة في اليوم الأول من الإضراب 16 أفريل[5]، وفي اليوم الموالي وافقت الحكومة على مطالبهم وأطلقت سراح الطلبة الموقوفين يوم 29 أفريل 1910 وعقدوا اجتماع أمام المدرسة الصادقية حضره 2000 تلميذ خطب فيه عبد العزيز الثعالبي، وحضر الاجتماع تلاميذ الصادقية والزيتونة فكان إشارة إلى السلطة الفرنسية بانبعاث تيار قوي للتجديد والإصلاح[6].

ـ عبد العزيز الثعالبي ومشاركته في أحداث الزلاج: كانت أول واقعة اصطدام عنيف بمدينة تونس بين الجماهير الشعبية والجهاز الاستعماري[7] حين قررت بلدية تونس مسح مدافن الزلاج لتقسيم الأراضي

1_ الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 42.

2_ عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا، المرجع السابق، ص 08.

3_ " " " "، تونس الشهيدة، ص 11.

4_ الطاهر عبد الله ، المرجع السابق، ص 42.

5_ كوثر هاشم، منهج الإصلاح.... ، المرجع السابق، ص 79.

6_ عبد الكريم عزيز، ص 147.

7_ علي المحجوبي، جذور الحركة الوطنية التونسية (1904، 1934)، تح: عبد الحميد الشابي، بيت الحكمة، تونس، 1999، ص 143.

المجاورة لها[1]، وحاولت تسجيل مقبرة الزلاج الإسلامية[2] في 7 نوفمبر 1911، فاجتمعت جماهير غفيرة لحماية المقبرة، فأمرت السلطة الفرنسية على تنفيذ قرارها بالقوة فاصطدمت الجماهير مع القوات الفرنسية وانتشرت الثورة في أنحاء العاصمة ولم تستطع السلطة الفرنسية إخماد نيرانها إلا بعد عناء شديد[3]، فاندلعت حوادث دامية أسفرت عن مقتل الكثير[4]، وعلى إثرها أسفرت المحاكمة عن إصدار أحكام على 35 من المتظاهرين التونسيين منها بالإعدام، كما وقع تعطيل كل الصحف العربية بإنشاء جريدة "الزهرة" وهي جريدة شبه رسمية[5]، ومن بين الذين اعتقلتهم السلطة الفرنسية عبد العزيز الثعالبي الثعالبي وعلي باش حامبة وعلى أخيه محمد باش حامبة، وتمّ حلّ حزب "تونس الفتاة" فارتحل محمد باش حامبة[6] إلى جنيف وأصدر هناك جريدة "المغرب" للدفاع عن المغرب العربي، وبقيت هذه الجريدة تصدر لمدة سنتين إبان الحرب العالمية الأولى[7]، لقد كانت أحداث الزلاج ردة فعل التونسيين لما لحقهم من الأذى والإهانة من الاستعمار[8]،

ولقد أبعد بعض الشباب المثقف إلى الخارج[9] فهذا الاحتجاج لم يقتصر على المثقفين فحسب، بل أيضا عن الجماهير الشعبية التي عبرت عن احتجاجها بصورة تلقائية[10].

وكان الشيخ عبد العزيز الثعالبي من أعضاء اللجنة التونسية التي تأسست لنجدة المجاهدين الطرابلسيين في حربهم ضد إيطاليا سنة 1911، ومدّهم بالإعانة المالية والغذائية[11].

1_ جلال يحيى، المرجع السابق، ص 1074.

2_ مقبرة الزلاج: وهي مقبرة إسلامية تقع في المدخل الجنوبي للعاصمة التونسية نسبة إلى محمد الزلاج القيرواني عاش في القرن 13، اشترى قطعة أرض من يهودي ليتم فيها دفن المسلمين، وتعود أهميتها كونها تحتوي على جبل التوبة وبه مغارة الشيخ أبي الحسن الشاذلي، فأرادت البلدية تسجيل أرض المقبرة بتقديم طلب للمحكمة العقارية المختلطة بتاريخ 26 سبتمبر 1911، عن المقبرة أنظر: الجيلاني بن الحاج يحى، محمد المرزوقي: معركة الزلاج 1911، ط 2، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ص 17_18.

3_ تامر الحبيب، هذه تونس، د ط، مطبعة الرسالة، مكتب المغرب العربي، د.س، ص 84.

4_ شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976، ص 90.

5_ علي محجوبي، جذور الحركة.... ،المرجع السابق، ص 143.

6_ محمد باش حامبة: ولد بتونس في جوان 1881 تتلمذ في الصادقية واشتغل مترجما وانتسب إلى كلية الحقوق بباريس فحصل على إجازة في القانون، عين قاضيا مساء في المحكمة ولكنه استقال في أوت 1913، والتحق بأخيه علي في استنبول سنة 1916 مثل الجزائر وتونس في المؤتمر الثالث للقوميات، توفي سنة 1920 ببرلين، للمزيد ينظر: الصحراوي قمعون، حركة الإصلاح والتحديث في تونس، تع: الشاذلي القليبي، برق للنشر والتوزيع، تونس، 2012، ص 31.

7_ محمود شاكر، المرجع السابق، ص 131.

8_ عبد المجيد كريم وآخرون، المرجع السابق، ص 47.

9_ حسن حسين عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، ط 3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، د.س، ص 181.

10_ أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 494.

11_ عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا، المرجع السابق، ص 09.

وعلى إثر أحداث الزلاج فرضت سلطة الحماية سنة 1911 الأحكام العرفية بتونس واستمرت إلى غاية شهر أفريل 1922[1].

ـ **عبد العزيز الثعالبي وحادثة الترامواي:** انطلقت حادثة الترامواي في 08 فيفري 1912[2] أي بعد ثلاثة أشهر من اندلاع حادثة الزلاج وذلك عندما داست[3] عربة الترامواي طفل تونسي كان يسوقها إيطالي بين باب سويقة وباب سعدون فأردته قتيلا[4]، وقد بلغ غضب الشعب التونسي ذروته على إثر هذه الحادثة[5] فقاطعوا الناس الشركة[6] وطال أمد المقاطعة فأصبحت الشركة مهددة بالإفلاس[7]، وهذا ما أدى في 03 فيفري 1912 إلى إضراب عمال الترامواي في تونس احتجاجا على تصرفات الشركة الأجنبية التي كانت تسخر العمال لمصلحتها الخاصة فاتّجه الشعب إلى تأييد العمال والتضامن معهم إلى أن رضخت الشركة[8] مما دفع السلطات الفرنسية إلى التدخل لحل الأزمة باللين أولا أو بالإرهاب والتهديد آخرا[9]، فقضت بالقوة بالقوة على حركة المطالبة التي قام بها العمال ثم اتّهمت قادة الحركة "التطورية" بالتآمر ضد الإدارة الفرنسية، وأقامت نظام استثنائي تمثل في تعطيل الصحف الوطنية وإعلان القانون العرفي وإبعاد قادة حركة الشباب التونسي[10] ومن بينهم عبد العزيز الثعالبي لقد كان من العناصر النشيطة في أحداث الترامواي حيث قام بحركة تجسسية رفقة معاونيه فقد اتّصلوا بالسكان في المنازل والمقاهي بباب السويقة وبعمال ميناء تونس محرضين الأهالي على عدم استعمال الترامواي[11]، وكما انظم إلى اللجنة التي تأسست في 1912 لمد يد المساعدة إلى عملة الترامواي التونسيون ماديا وأدبيا[12]، لأن مقاطعة الترامواي تعتبر مؤامرة ضد الإدارة الفرنسية وبعد أن مضى إنذارها بالفشل أمرت السلطات الفرنسية بنفي عبد

1_ عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص 155.
2_ علي المحجوبي: جذور الحركة الوطنية التونسية، المرجع السابق، ص 148.
3_ خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 80.
4_ عبد المجيد كريم وآخرون، المرجع السابق، ص 51.
5_ الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 50.
6_ عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، المصدر السابق، ص 13.
7_ الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 50.
8_ تامر الحبيب، المرجع السابق، ص 84.
9_ الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 50.
10_ أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 495.
11_ عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص 108.
12_ عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا، المصدر السابق، ص 9.

العزيز الثعالبي[1] حيث حاول إعادة حزب تونس الفتاة لكنه لم يفلح، فذهب إلى استانبول ثم عاد إلى فرنسا فاستقر في باريس[2].

2. كتابه تونس الشهيدة:

إن هذا الكتاب لم يكن من الانتاج الشخصي للزعيم عبد العزيز الثعالبي، بل هو ثمرة مجهود ثلة من أعضاء الحزب التونسي أمثال الصادق الزمرلي والمنصف المنستيري وعلي كاهية وغيرهم، وقد تكفل الثعالبي بصياغته بمعية أحمد السقا استنادا إلى المذكرات والتقارير التي أمدها بها رفقاهما بتونس[3].

ساهم هذا الكتاب في تحليل نظام الحماية، حيث طرح فيه مطالب الشعب التونسي، وصوّر حالة تونس نتيجة الاستعمار المسلط على البلاد إذ صرّح باستعمار الأراضي وتدهور الاقتصاد، ومن المطالب التي جاءت في تونس الشهيدة أوّلها الاستقلال[4]، ثم أرسل هذا البرنامج في رسالة بتاريخ 07 مارس 1920 إلى الثعالبي الذي أعاد النظر فيه وتنقيحه في 18 من نفس الشهر[5].

1_ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 90.

2_ محمود شاكر، المرجع السابق، ص 132.

3_ خليفة الشاطر، تونس عبر التاريخ، المرجع السابق، ص 87.

4_ شايب قدادرة، الحزب الدستوري التونسي الجديد وحزب الشعب الجزائري(1934- 1954) دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة،2007، ص 79.

5_ علي المحجوبي، جذور الحركة، المرجع السابق، ص 236.

➢ **المطالب الواردة في الكتاب:**

- **ضمان الحريات الفردية:** حرية الشغل، بعث الجمعيات، حرية الصحافة، ضمان حرية السكن، الملكية، المساواة أمام القانون، حرية الديانة وخضوع الأجانب للقضاء التونسي.
- **قيام سلطة تشريعية:** تشمل 50 نائبا منتخبا و10 نواب يعينهم الباي ومكتب للمجلس، يقع تجديده كل سنة، أما المجلس النيابي الأعلى فهو مثل المجلس الدستوري يتكون من نواب ومستشارين للحكومة أو المجلس الأعلى وله حق تقديم القوانين.
- **سلطة تنفيذية:** تبدأ بالباي وله تسمية الموظفين الساميين المدنيين العسكريين.
- **استقلال العدالة في السلطة:** توحيد المحاكم ويتقاضى فيها كلّ سكّان تونس.
- **إجبارية التعليم الابتدائي للذكور**: وباللغة العربية أما الفرنسية فلها الأولوية في الثانوي والعالي وتأسيس مدرسة ترشيح المعلمين وإسناد منح دراسية للتعلم في أوروبا كل سنة.
- **المسح والتسجيل العقاري:** الاشراف بملكية العروش بأراضيها وعدم تدخّل الحكومة في المتطلبات الاقتصادية الخاصة إلّا بمقتضى القانون، تداخل الإدارة في إسناد العروض وإنشاء التعاونيات.

وقد كان لكتاب الثعالبي برنامج سياسي ومسائل أخرى ندد فيه بكل ما ارتكبه النظام الاستعماري من مظالم شتّى فكان له مدى كبير[1]، إذ يفضح لأول مرة بالعاصمة الاستعمار الفرنسي، ويبين جناياته[2].

فهو كتاب وصيغة نقدية لم يذكر مؤلفها، قابل فيه بين الاضطهاد الفرنسي والنظام التحرري الذي ساد البلاد التونسية قبل سنة 1881[3].

3. الحزب الحر الدستوري التونسي:

لقد كان للحرب العالمية الأولى تأثيرا واضح على الوضع السياسي السائد في تونس[4] لأن الحزب لم ينشأ دفعة واحدة بل نضجت فكرة تكوينه بعد ظهور قرارات الرئيس الأمريكي ويلسون فكان النقاش السياسي للنخبة حول الأحداث الجارية التي تهم الحزب تتم في نوادي عديدة مثل نادي غرناطة بباب منارة، وأيضا

1_ محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس، دار سراس للنشر، ط3 ، تونس، 1993، ص 116.

2_ علي البلهوان، تونس الثائرة، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017، ص 48.

3_ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 91.

4_ محمد بوطيبي، نضال الشيخ عبد العزيز الثعالبي في الحزب الحر الدستوري ما بين (1920_ 1934)، مجلة الباحث للعلوم الرياضية والاجتماعية، مج 04، ع 7، جامعة الجلفة، ص 417.

لقاءات بالمجلات والبيوت الخاصة مثل منزل الشيخ علي كاهية[1] بتونس وحمودة المنستيري بالمرسى وغيرهما[2].

وعند انتهاء الحرب العالمية الأولى تخلوا عن موقف التحفظ ليعطوا الحركة الوطنية التونسية دفعا جديدا وشرعوا في التحضير لتأسيس حزب وطني تونسي[3].

ففي ربيع 1919 تأسست تشكيلة قومية كانت تضم كل من عبد العزيز الثعالبي وأحمد الصافي وحسن القلاتي زيادة على قدماء أنصار علي باش حامبة، وجوه جديدة جندت من بين المحامين والصحافيين والأطباء وبهذا صار الحزب نخبوي يختلف كثيرا من تأسيس حركة الشباب التونسي الموجودين بالنادي لتجديد حركتهم وتوسيعها[4].

فقدم الزعيم عبد العزيز الثعالبي الذي كان يقيم في باريس عريضة في أوائل سنة 1919 إلى الرئيس الأمريكي ولسن باسم الشعب التونسي مطالبا باستقلال بلاده[5] وبعدها أصبح الثعالبي هو الممثل للحركة الدستورية في تونس، وإن كان يختلف عن كثير من قادتها في أنه يتخذها كمرحلة أولى للاستقلال ولقد أفادت هذه الحركة من وجود اسمه على رأسها كان كل ذلك مكسبا لتونس، إذ أنه كان يمثل مراحل طبيعية لتطور الفكر وتطور الأوضاع الاقتصادية في هذا الاقليم[6].

عمل عبد العزيز الثعالبي إلى تغيير استراتيجيته المتّبعة بعد انهزام اليسار الفرنسي في الانتخابات التشريعية التي جرت في أكتوبر سنة 1919 فاقترح على الوطنيين ضرورة الدخول في معركة ضد الاستعمار تعتمد أساسا على المطالبة بدستور يضمن حق التونسيين في تسيير شؤون بلادهم، وكان من نتائج ذلك أن تم الإعلان عن ميلاد الحزب الحر الدستوري التونسي في شهر مارس من سنة 1920[7].

1_ علي كاهية: (1877_ 1956) درس في الزيتونة، من مؤسسي الحزب الدستوري في منزله بتاريخ 14 مارس 1920 صيغة المطالب التي سوف تكون ركيزة للحزب كان من المشرفين على تحرير جريدة الفجر سنة 1920 وساهم في تحرير العديد من الجرائد التونسية، كان صديق لعبد العزيز الثعالبي وظل وفيا للدستور القديم حتى وفاته سنة 1956، ينظر: محمد السعيد عقيب، الحزب الدستوري التونسي القديم (1934_1956) رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2010، ص 24.

2_ صالح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب)، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط 6، 1993، ص 195.

3_ شايب قدادرة، المرجع السابق، ص 97.

4_ علي المحجوبي، جذور الحركة الوطنية التونسية، المرجع السابق، ص 222.

5_ تامر الحبيب، المرجع السابق، ص 86.

6_ جلال يحيى، المرجع السابق، ص 1087.

7_ عبد المجيد كريم وآخرون، المرجع السابق، ص 61.

فأول اجتماع تأسيسي للحزب تم عقده بتونس يوم 14 مارس 1920 وذلك بمنزل علي كاهية وتقرر في الجلسة الاتفاق على المطالبة الثمانية التونسية وأهمها (المطالبة بدستور وببرلمان اتفاقي نيابي وحكومة مسؤولة أمامه)[1].

فظهر الحزب الحر الدستوري بصورة رسمية بقيادة عبد العزيز الثعالبي وبشير صفر[2] وضم هذا الحزب عددا من المثقفين والعلماء من سكان العاصمة وكلّهم من أنصار الوحدة العربية الاسلامية[3].

- **هياكل الحزب وبيئته التنظيمية:**

هياكل الحزب: الدستوريون وضعوا أسس تنظيمية للحزب أثناء النقاشات التي دارت خلال الحرب العالمية الأولى، واستطاعوا على إثرها الاعتماد على مقترحات قدمتها شخصيات بارزة على صعيد الوطنيين بتونس وحتى فرنسا تحديدا القانون الأساسي للحزب في صورته النهائية القابلة للتجسيد من خلال رسم الهياكل التي يقوم عليها، حيث سمح مؤتمري 14 مارس 1920 ومؤتمر 3 جوان 1920 بتطوير العمل التنظيمي للحزب[4].

وقد سمح هذا القانون لفتح العضوية لكل المسلمين واليهود التونسيين غير المتجنسين بجنسية أجنبية، والقاطنين بالقطر التونسي شريطة أن يلتزموا بمبادئ الحزب ويقسموا يمين الإخلاص لبرنامجه على كتاب دينهم المقدس وأن يسعوا إلى نجاحه بكل وسيلة وبصدق وإخلاص[5] وكذلك ضبط القانون الأساسي هدف الحزب المتمثل في تخليص تونس من الاستعباد[6] ويقع هذا القانون في واحد وعشرين فصلا فصلا حدد فيه النظام العام للحزب كالتالي:

1. **الشعب المحلية:** نص الفصل الخامس من هذا القانون على السماح لأعضاء الحزب بتأسيس شعب محلية في كل بلد تونسي، وحدد النظام الداخلي لهذه الشعب واعتبر حضور جلساتها أمرا ضروريا على كل عضو تابع لها، وله بها بطاقة انخراطه في الحزب، وأن يقوم بواجبه نحوها وإن حدث إنه أخل العضو

ـــــــــــــــــ

1_ محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص 28.

2_ البشير صفر: (1865_1917): ولد بمدينة تونس، وهو أحد قادة الحركة الإصلاحية التونسية، التحق بالإدارة التونسية عام 1884، وعينته الحكومة رئيسا لجمعية الأوقاف عام 1892 عمل على مساعدة الجمعيات والمشاريع الخيرية، وفي عام 1908 عينته الحكومة على رأس منطقة الساحل التونسي حيث سمته عاملا أي واليا أو محافظا وبقي في هذا المنصب إلى وفاته، ومن آثار محاضرته عن الجغرافيا عن العرب عام 1984، وكتاب مفتاح التاريخ، للمزيد ينظر: الصادق الزمرلي، المرجع السابق، ص 121_ 131.

3_ إسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج 2، دار المريخ للنشر، الرياض، 1993، ص 106.

4_ يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري، المرجع السابق، ص 66.

5_ محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص 36.

6_ علي المحجوبي، جذور الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 241.

بأحد واجباته تقترح اللجنة التنفيذية المحلية طرده من الحزب على اللجنة المركزية في الجهات وقيام أعضائه بنشر الدعاية للحزب[1].

حيث كان دورها ربط عمليات الحرب في الجهات وقيام أعضائه بالبحث ومد بعضهم بالوسائل اللازمة لنشر الدعاية للحزب وإدخال فكرته في وسط الطبقات التونسية وجلبهم للمشاركة في أعماله[2].

2. **اللجنة التنفيذية المحلية:** هي السلطة العليا في الشعب المحلية تتكون من ثلاثة أعضاء على الأقل تجتمع كل 15 يوم لأجل توزيع المهام على أعضاء الشعب، وتكوين الحركات المحلية واستدعاء الطبقات العامة للشعب، وهي ملزمة بالارتباط المستمر بلجنة الجهة وإعطائها تقرير بصفة مستمرة[3].

3. **شعب الجهات:** تأسست لربط العلاقة بين الشعب المحلية، ومن شروطها توفر 5 شعب محلية لا يقل أعضائها على 500 عضو، وفي حالة انفراد شعبة يجب أن تلتحق بأقرب جهة لها، ومن مهامها: احترام مبادئ وبرنامج الحزب، ومقررات المؤتمر العام لحال أن تغير تراتيب الحزب كما تعمل على تسمية نواب للمؤتمر[4].

4. **اللجان المركزية للجهات:** تتكون من 5 أعضاء على الأقل، مسؤولة عن أعمالها أمام مؤتمر الجهة التي تقوم بانتخابه[5]، ومن أهم مهامها: ربط العلاقات مع الشعب المحلية ومدّها بتعليمات اللجنة المركزية الرئيسية بتونس مع جميع الإرشادات التي تقيدها في أعمالها، لها سلطة مطلقة في ضبط العمل في دائرتها بالاتّفاق مع اللجنة المركزية، وتقوم اللجنة بالجهوية بإيفاد اثنين من أعضائها إلى اللجنة المركزية لإحاطتها بحالة الحزب في الجهة[6].

5. **مؤتمرات الجهات:** يتألف من نواب الشعب المحلية، ويقوم بالنظر في حالة الحزب بالجهة ويعين نواب الجهات فيه، كما يقوم بتحرير المقترحات المراد عرضها على المؤتمر العام[7].

1_ شايب قدادرة، المرجع السابق، ص 118.

2_ يوسف مناصرية الحزب الحر الدستوري، المرجع السابق، ص 67.

3_ المرجع نفسه، ص 91.

4_ شايب قدادرة. المرجع السابق، ص 118.

5_ محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص 39.

6_ شايب قدادرة، المرجع السابق، ص 118.

7_ يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري، المرجع السابق، ص 68.

6. المؤتمر العام: يتركّب من نواب شعب الجهات الواقع تعيينهم من طرف مؤتمرات الجهات بنسبة عضو واحد على كل شعبة واجب وجوده في مؤتمر الجهة لتمثيلها، وعضو آخر ينوب عن كل فريق وله السلطة العليا في إدخال كل التغيرات على برنامج الحزب السياسي وتنظيماته، مقرراته تقع بالأغلبية المطلقة، وينتخب أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب بتونس ويتجدد هذا الانتخاب كل سنتين، ويستمع إلى تقرير اللجنة المركزية الرئيسية[1].

7. اللجنة التنفيذية المركزية: تتألف من 15 عضو منهم: كاتب عام، وكاتب عام معاون، وأمين عام، وأمين عام مساعد، وأمين مال، وأمين مال مساعد، تتلخص مهامها في مراعاة مقررات المؤتمر والحفاظ على برنامج الحزب وتسهر على تطبيقه، وتعمل على انتشار حركة الحزب في البلاد وهي مسؤولة لدى المؤتمر العام في أعمالها ومن واجبها أن تدعو المؤتمر العام لعقد جلسة عامة استثنائية[2].

- **نشاط الحزب الحر الدستوري التونسي وردود الفعل حوله:**

ـ نشاط الحزب: لقد قام الحزب الدستوري التونسي بنشاطه في نطاق التربية المطلقة، حيث أنّه ركّز في عمله على الحق والعدل دون سواهما في سبيل تحقيق هذه الغاية سعى إلى كسب تأييد عريض لبرنامجه الذي اتسم بعدة مبادرات تمثلت في إرسال الوعود إلى كلّ من الباي والسلطة الفرنسية بفرنسا وتونس وإلى مؤشر الصلح، ومؤتمرات الدولية قد التعريف بالقضية التونسية[3].

أ- **الوفد الدستوري الأول لدى الباي:** 18 جوان 1920[4]، يتكون هذا الوفد من أعضاء الحزب الدستوري التونسي، بالإضافة إلى الممثلين من جميع طبقات الشعب التونسي الذين شكّلوا وفدا عرف باسم الأربعين [5] وقد كان يترأسه صادق النيفر[6]، الذي حرص على ضمان تأييد الباي محمد الناصر[7]

1_ محمد السعيد عقيب: المرجع السابق، ص 39.

2_ المرجع نفسه، ص 40.

3_ أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 506.

4_ علي المحجوبي، جذور الحركة الوطنية التونسية، المرجع السابق، ص 251.

5- وفد الأربعين: كان هذا الوفد مكون من شخصيات فكرية ودينية وصحفية، منها: صادق النيفر عثمان بالخوجة، طيب رضوان، محمد جعايبي، علي كاهية، حمودة المنستيري، طاهر المهيري، يوسف زويتن، محمد رياحي، محمد بن عمار، وقد قدمت المطالب إلى الباي والمقيم العام، ينظر: زهير الذوادي، المرجع السابق، ص 16.

6_ صادق النيفر: من مواليد 1882، درس بجامع الزيتونة والمدرسة الخلدونية وعمل في العدلية منذ 1900، ثم مدرسا بالجامع من سنة 1913، وقاضيا مالكيا بين (1922_ 1929)، ينظر: محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص 72.

7- محمد الناصر: محمد بن الحسين الثاني، افتتحت ولايته بإصدار مجلة العقود والالتزامات وهي اول عهد للقانون في تونس الحديث، واول من ادخل نواب تونسيين في مجلس الشورى، توفي في 11 جويلية 1922،انظر: حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 180- 182.

للقضية الوطنية لحمله على المطالبة بالدستور[1].

فاستجاب الباي لرغبة هذا الوفد مدعما بذلك الحركة الوطنية التي لم تعد مطالبها تبعا لذلك تابعة من تنظيم غير قانوني فحسب بل تابعة كذلك من أمير بقيت سلطاته تعترف بشرعيته حتى وإن كان بصفة شكلية[2].

كما عبر عن ثقته في أن الفرنسيين سوف لا يعترضون على إقامة هذا الدستور، وكذلك نجد الأمير محمد المنصف قد دعم الحزب وانظم إليه كذلك أدى يمين الإخلاص للمبادئ الدستورية[3]، وكان المقيم العام قد توجه للمرسى وقدم لائحة للملك تشمل على أسماء 36 شخص من زعماء الحركة الوطنية من أجل المصادقة عليها فرد عن ذلك قائلا: "أن اللائحة ناقصة بنقصها اسمه وأسماء أفراد عائلته"[4].

ب- الوفد الدستوري الأول لدى الحكومة الفرنسية: (3 جوان_ جويلية 1920)

سافر الوفد الدستوري لدى الحكومة الفرنسية إلى باريس فالتحق بعبد العزيز الثعالبي الذي ما زال مقيما بباريس ليواصل على أسس جديدة العمل الذي قام به جمعية أحمد السقا منذ شهر جويلية 1919، كان هدفه أن يبرز كممثل للسكان التونسيين وأن يبحث عن المساندين بين كل الأحزاب الفرنسية ويظهر حرص الوفد على تأكيد صبغته التمثيلية في هذه المئات من التوقيعات التي وصفها التونسيون من كل طبقات السكان[5].

التحق هذا الوفد سعيا لتدعيم موقف الوفد لدى السلط الفرنسية فأرسلت آلاف العرائض الموقعة من طرف التونسيين إلى باريس وذلك لإبراز التفاف مختلف شرائح المجتمع حول مطالب الحزب الدستوري[6].

فخلال فترة تشكيل أعضاء وفد باريس الأول قام أحمد الصافي بنشر موضوع حول الوضع التونسي في صحيفة Petite République في 18 جوان 1920، يبين فيه الوضع السائد الذي كانت تعيشه البلاد التونسية من جراء الاستعمار الفرنسي، حيث أشار إلى السياسة الفرنسية المفروضة في البلاد التونسية[7]، فلقد كان حسن قلاتي لم يكن راضيا عن سيطرة الثعالبي على الوفد لأن الغاية من إرسال الوفد هي

1_ خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 87.

2_ عبد المجيد كريم وآخرون، المرجع السابق، ص 63.

3_ يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري، المرجع السابق، ص 138.

4_ علال الفاسي، حركات الاستقلال في المغرب العربي، لجنة الثقافة الوطنية لحزب الاستقلال، المغرب، د س ص 39.

5_ علي المحجوبي، جذور الحركة... ، المرجع السابق، ص 255.

6_ عبد المجيد كريم، المرجع السابق، ص 63.

7_ محمد بوطيبي، نضال الشيخ عبد العزيز الثعالبي... ، المرجع السابق، ص 414.

إقصاء الثعالبي عن المواجهة وقال: "إن الوفد التونسي الحقيقي الأول هو الذي سافر إلى باريس سنة 1920 برئاسة الصافي، ولكننا لم نحسب حساب قلة خبرته وقدرة الثعالبي الطاغية على الإغراء فقد هيمن هذا الساحر في لحظة على الوفد الذي خضع بعد تردد ومحاولات لا تقع فيها البلاغة وإقناع مؤلف تونس الشهيدة"[1].

لقد تمكن هذا الوفد من الاتصال بعدة شخصيات من رابطة حقوق الانسان وهي الهيئة الفرنسية الاسلامية التي كان يترأسها آنذاك "إيدوارد هيريو" زعيم الحزب الراديكالي فإن أغلب مساعيه قد فشلت وهو ما أجبره على تعديل مطالبه[2].

وكان محتوى المذكرة هو التنديد بالاستبداد الناجم عن نظام الحماية منكرا في نفس الوقت بتضحيات الشعب التونسي خلال الحرب العالمية الأولى لصالح فرنسا، ومطالبها لأجل ذلك بالضمانات الدستورية التي نص عليها برنامج الحزب الدستوري[3].

وفي 13 جويلية 1920 تقدم الوفد بعريضة إلى الرئيس الفرنسي ذكر بأن الباي وافق على مطالب الحزب، وفي انتظار رد الرئيس الفرنسي على عريضة الوفد، فاستقبل الحزب بحفاوة من طرف رئيس غرفة النواب والحزب الاشتراكي، وفي هذا الأثناء تمت محاصرة الثعالبي والحد من نشاطه[4]، ثمّ استقبل الوفد في 31 جويلية من طرف السيد "بومارشي" نائب مدير إفريقيا في ديوان الرئيس الفرنسي، وقد مدّ له عريضة بعنوان "المسألة التونسية" كانت موجهة للشعب الفرنسي ثم فيها ذكر حرمان الشعب التونسي من جميع حرياته وحقوقه المشروعة[5]. فأوقدت السلطات الفرنسية جميع الأبواب في وجه الوفد[6]، ثم اعتقال عبد العزيز الثعالبي في باريس يوم 28 أوت 1920، ونقل بعدها إلى تونس وألقي به في السجن العسكري يوم 22 سبتمبر من نفس السنة بتهمة المس بأمن الدولة[7].

1- محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 216.

2- خليفة الشاطر، المرجع السابق، ص 88.

3- علي المحجوبي، الحركة الوطنية التونسية... ، المرجع السابق، ص 64.

4- يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري، المرجع السابق، ص 236_ 237.

5- أحمد القصاب ، المرجع السابق، ص 507.

6- زهير الذوادي، المرجع السابق، ص 16.

7- أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 507.

ت- الوفد الثاني لباريس: 22 ديسمبر 1920_ جانفي 1921

بعد فشل الوفد الأول في تحقيق هدفه تم إرسال وفد ثاني إلى باريس[1] برئاسة الطاهر بن عامر[2]، فتركب هذا الوفد أيضا من حسونة العياشي بصفته سكرتير ونائب بالمجلس الثوري، وعبد الرحمان اللزام، حمودة المنستيري، وفرحات بن عياد له دور كبير يقيم بباريس الذي أظهر براءته الفائقة من مساعدة الوفد والقيام بمهمته على أكمل وجه، فهو على جلة بشخصيات بارزة في العاصمة الفرنسية وبعدد كبير من رجال البرلمان الفرنسي[3].

وقد صرّح هذا الوفد مثل مقارنة تونس عن ولاء التونسيين لفرنسا وإعجابهم بثقافتها وعن صداقتهم الخالدة لكنها، كما أكد رئيس الوفد الطاهر بن عامر[4] بأن المطالبة بدستور لم تتم عن عداء لفرنسا بل أن هذا الطموح وليد النظرة العمرية للنظم السياسية التي تشيع بها الشباب التونسي في المدارس الفرنسية، وحتى يزيل كل ليس حول نوايا الحزب الحر الدستوري[5]، حتى تمكن الوفد من مقابلة الرئيس الفرنسي في جانفي 1921 ومدير الشؤون السياسية والتجارية بوزارة الشؤون الخارجية اللذان وعدا القيام بإصلاحات فإن المقيم العام الجديد (لوسيان سان Lucien saint) رفض مباشرة بعد تنصيبه النقطتين الأوليتين من برنامج الحزب والمعتقلين بإنشاء مجلس استشاري وحكومة مسؤولة أمامه[6].

وكذلك قام الوفد بتقديم عرائض بباريس إلى مختلف الجمعيات السياسية لجان المستعمرات وبلدان الحماية بمجلس النواب، وأن حسونة العياشي الكاتب العام للوفد هو الذي حرر رسالة شرح فيها المطالب الدستورية وحللها بصفة قانونية وبيّن أنها لا تمس جوهر الحماية[7].

بينما كان بعض الشخصيات الوطنية أمثال حسن قلاتي وفرحات بن عياد يعملان على دفع عجلة الامتداد داخل الحركة الوطنية، كان شق آخر يتزعمه الثعالبي يتوق إلى تجذير عمل وفكر النضال المناهض للاستعمار[8].

1_ الملحق رقم(08).

2- علي المحجوبي، الحركة الوطنية التونسية بين الحربين... ، المرجع السابق، ص 66.

3- خليفة الشاطر آخرون، المرجع السابق، ص 88.

4_ الطاهر بن عامر: ولد بتونس في نوفمبر 1889، كان ضمن وفد الدستور سنة 1921، رفع مطالب التونسيين للسلطات بفرنسا، قادت المفاوضات مع فرنسا التي ضمن الاستقلال الداخلي في جوان 1955، والتي ستمهد لإعلان الاستقلال في 20 مارس 1956، توفي في 10 ماي 1972، ينظر: محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص 72.

5_ علي المحجوبي، الحركة الوطنية التونسية ما بين الحربين... ، المرجع السابق، ص 66.

6_ خليفة الشاطر، المرجع السابق، ص 88.

7_ يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري، المرجع السابق، ص 244.

8_ زهير الذوادي، المرجع السابق، ص 17.

وقد نجح الوفد الدستوري الثاني في دفع موجة التضامن والتفاعل الايجابي مع القضية التونسية داخل أوساط السياسة اليسارية الفرنسية، وعاد الوفد من باريس يوم 09 فيفري 1921[1].

ث- الوفد الدستوري الثالث: (29 نوفمبر- ديسمبر 1924)

توجه الوفد الدستوري بقيادة أحمد الصافي وثلاثة من أعضائهم: صالح فرحات[2]، الطيب جميل وأحمد توفيق المدني[3]، ومع الوفد رسالة تحمل توقيع آلاف التونسيين لمساندة هذا البرنامج لدى أعضاء الحكومة والبرلمان الفرنسي على اعتدال المطالب التونسية وبطلان الادّعاءات[4].

إن رئيس فرنسا في تلك الفترة إدوارد هيريو رئيس الحزب الراديكالي ومن أشهر رجال الفكر والقلم بفرنسا وأن هذا الحزب اليساري عبّر عن أفكاره الحرة خاصة نحو البلاد الواقعة تحت الاحتلال الفرنسي آنذاك لذلك أخذت الشعب الدستورية تتهيأ لإرسال الوفد الثالث ومن أجل تحقيق نوع من الحرية، على عاقدة تحويل المجلس التونسي إلى مجلس تفاوضي وعلى أساس التسوية بين أعضائه[5].

لكن إدوارد هيريو رفض مقابلة الوفد شخصيا، وسبب رفضه هو تقرير المقيم العام لوسيان سان حيث حمل المسؤولية للحزب الدستوري فيما يخص الإضرابات التي وجدت بتونس سنة 1924 في صفوف العمال، وأكد المقيم العام على رئيس فرنسا لا يستقبل الوفد الدستوري الثالث لأنه يعتبر بمثابة تشجيع للوطنيين المتطرفين وبذلك البلبلة والاضطراب[6]، وقد بين البعض من هؤلاء الفرنسيين لأعضاء الوفد استحالة القيام بإصلاحات[7]،

1_ المرجع نفسه، ص 18.

2_ صالح فرحات: 1890 ولد بتونس، زاول تعليمه بالصادقية، وحصل على إجازة الحقوق في فرنسا، ساهم في المناقشات أدت إلى تأسيس الحزب الدستور الحر، كان غضو في اللجنة التنفيذية، استقل مهمته للدفاع على مصالح التونسيين، ينظر: أحمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص 51.

3_ أحمد توفيق المدني: ولد بتونس سنة 1899، من أسرة جزائرية، دخل الكتاتيب ودرس بها، كذلك درس في المدرسة الأهلية، تخرج 1913، يعتبر من الذين تفاعلوا مع القضايا الوطنية بالرغم من صغر سنه لحادثة الزلاج والترامواي، أحد مؤسسي الحزب الدستوري 1920، سافر رفقة الوفد الثالث إلى باريس، كما أنه تعرض للسجن، للمزيد ينظر: حاج عبد القادر يخلف، المؤرخ أحمد توفيق المدني ومذكراته "حياة كفاح"، مجلة العصور الجديدة، ع 3_4، 2012، ص 175_188.

4_ علي المحجوبي، جذور الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 84.

5_ أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 401.

6_ علي المحجوبي، جذور الحركة الوطنية... ، المرجع السابق، ص 85.

7_ " " " "، الحركة الوطنية... ، المرجع السابق، ص 65.

وأمام تصلب الحكومة الفرنسية فشلت كل مساعي الوفد الدستوري، تخلى الحزب نهائيا عن جامعة العملة التونسية (بيان 22 فيفري 1925) وقطع علاقته مع الشيوعيين ليصبح في صف المعتدلين الذي يضم الجامعة الاشتراكية والحزب الإصلاحي والأعضاء التونسيين في المجلس الكبير، وذلك لإحباط الحملة المدبرة من طرف سلطات الحماية وغلاة الاستعمار وجل الحكومة الفرنسية على إنجاز إصلاحات بتونس[1].

ـ نشاط الشيخ عبد العزيز الثعالبي في المشرق:

تعرض قادة الحزب الدستوري الاعتقال والنفي ومن بينهم عبد العزيز الثعالبي زعيم الحزب الدستوري الذي تم نفيه إلى الخارج سنة 1923 ليصبح لاجئا ومتنقلا بين الدول العربية الاسلامية كالقاهرة وبغداد وفلسطين والحجاز والخليج العربي والهند وأفغانستان وإيران وأثناء اعتقاله قام بربط الحركة الوطنية التونسية بقضايا الشرق العربي[2].

قام الثعالبي بدعاية كبيرة وقوية في مختلف الأوساط العربية والاسلامية لصالح القضية التونسية ودعمها وقد شارك في مؤتمر فلسطين سنة 1930 وانتخب كعضو باللجنة التنفيذية، وكان موطن احترام في كل الأوساط التي تذكر فضله ونشاطه في قضايا العرب[3]، وخلال سنة 1924 وسع الحزب الدستوري نشاطه لدى الجماهير التونسية ولا سيما الطبقات الكادحة وقد كان قادة الحزب ينتمون إلى الطبقة الأرستقراطية والبرجوازية بالمدن ولا يختلطون بعامة الشعب، وبهذا أحس الحزب بالخطر وأكد على أنه الوقت المناسب من أجل الاتصال والتقرب للطبقات الشعبية، ويتم ذلك من خلال النقابات العمالية وكانت الحركة النقابية التونسية منطوية تحت لواء الجامعة الفرنسية وقد حاول محمد علي الحامبي الانفصال عنها، وتم في 12 أكتوبر 1924 إحداث جامعة علوم الحملة التونسية من خلال المساهمات التي قام بها الحزب الدستوري ومحمد علي حامبة، وفي نوفمبر 1925 نظمت تظاهرة للاحتفال بالذكرى المئوية لميلاد الكردينال لا فيجري، وتناول فيها الكلمة المقيم العام لوسيان سان، وتم الاحتفال في البلاد الاسلامية ولوضع حد لهذه الاهانة التي وجّهت للمسلمين قام طلاب جامعة الزيتونة في 28 نوفمبر 1925 بتنظيم مظاهرة لمواجهة هذه الإهانة، ومن هذا التاريخ إلى غاية 1930 تخلى الحزب الدستوري عن تنظيم المظاهرات بالشارع فإن الحزب الدستوري عرف منذ تأسيسه سنوات مليئة بالعواصف والخيبات[4].

1_ " " " "، المرجع السابق، ص 86.

2_ محمد علي داهش، المغرب العربي المعاصر (الاستمرارية والتغيير)، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2014، ص 161.

3_ علال الفاسي، المرجع السابق ، ص 67.

4_ أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 223_ 224.

ولكن مع بداية 1930 عادت الحركة الوطنية تكرر مطالبها من جديد ولكن بطريقة سلمية بعد فترة الجهود التي كانت بسبب الاضطهاد والقمع الاستعماري حيث قامت حركة قادة الشباب المثقف بعد عودتهم من فرنسا، وقد التقوا مع بقية الشباب التونسي المثقف حول جريدة "الصوت التونسي" الذي أصدرها الشاذلي خير الله سنة 1929 بعدما أوقعت جريدة اللواء التونسي فحدثت في تونس حادثتان سهمتا في انتشار الوعي القومي من جديد، الأولى هي انعقاد المؤتمر الأفخارستي[1] 1920 بعاصمة تونس حيث أن التونسيين رأوا في انعقاد المؤتمر بتونس مساس لكرامتهم وإهانة لدينهم، أما الحادثة الثانية فهي ما عملت له السلطات الفرنسية من اعداد العدة لإقامة احتفال من أجل مرور 50 سنة من الاحتلال وإزاء هذا الوضع اجتمعت طبقة مثقفة في مؤتمر 30 أكتوبر 1930 قررت فيها مضاعفة نشاطها وكان من أبرز قادتها الحبيب بورقيبة[2].

ـ ردود الفعل المختلفة من الحزب:

- **موقف بالباي:**

لقد ساند أغلبية الحاشية المحيطة بالباي محمد الناصر الحزب الدستوري سرا أو جهرا وذلك تحت تأثير عضو من أعضائها وأحد مؤسسي الحزب ألا وهو الشاذلي خزندار، كما شجع الأمراء محمد المنصف وحسن الهاشمي بوجه خاص الدستوريين وساعدوهم على إعداد المظاهرة التي تقرر تنظيمها يوم وصول رئيس الجمهورية الفرنسية "ألكسندر ميلران" إلى تونس.

وتظهر مساندة الباي للحزب ودعمه عندما سلم إلى المقيم العام برنامجا يتضمن 18 نقطة، ويطالب بالإضافة إلى المطالب الدستورية بإرجاع الأملاك التي خصصت للاستعمار الزراعية وبتمكينه من حق اختيار وزرائه وعزلهم، وهدد بالتنازل من العرش إذ لم تقع الاستجابة إلى مطالبهم في أقرب الآجال[3].

1_ المؤتمر الأفخارستي: 1930 انعقد بقرطاج وقد تم اختيارها باعتبارها قديمة للمسيحية في شمال افريقيا، تزامن هذا المؤتمر مع احتفالات قرطاج بمناسبة الذكرى المئوية لاحتفالات الاستعمار الفرنسي باحتلال الجزائر 1830، ينظر: أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 532.

2_ تامر الحبيب، المرجع السابق، ص90.

3_ أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 514_515.

- **موقف الشعب التونسي من الحزب:**

أصبح موقف الشعب التونسي واضحا من الدستور عندما اعتقل الثعالبي في باريس فتحركت المظاهرات والإضرابات في البلاد وأخذت الجماهير تدمر المصالح الأجنبية وتهاجمها، وتحت هذا الضغط الشعبي الهائل أجبرت فرنسا على إخلاء سبيله فالتف حول الشعب والطّلائع المثقفة والمناضلون ودعوا إلى تأسيس حركة سياسية وطنية تنظم النضال الوطني[1].

- **موقف الحماية الفرنسية من الحزب:**

تمثلت ردود الفعل في الحد من حرية الصحافة وتشجيع الوطنيين المعتدلين على الانشقاق على جماعة الثعالبي والمضي قدما في تكوين حزبهم الإصلاحي، وذلك حتى تنقسم الحركة الوطنية التونسية.

ـ **الحد من حرية الصحافة:** في بداية 1922 كان قانون الصحافة متساهلا حتى مع الجرائد الناطقة بالعربية والعبرية وذلك لأن الوزير الأول منعها من الصدور، فإنه يكفي لكل جريدة وقع تعطيلها أن تغير اسمها لتبرز من جديد، وفي 4 جانفي 1922 شنت سلطات الحماية قانون آخر يلزم صاحب كلّ صحيفة جديدة إبلاغ السلط كتابيا وعدم إصدارها ما دام لم يحصل على موافقة الدوائر المختصة، وزيادة على ذلك فقد حرضت سلطات الحماية على انقسام الحزب الدستوري، وذلك بتشجيع نزعته المعتدلة على الانشقاق على النزعة المتطرفة[2].

ـ **محاولة إضعاف الحزب الدستوري:**

إنهاء القادة الدستوريون بالتآمر ضد أمن الدولة: للحد من الهيجان الدستوري بدأت السلطات بمحاصرة عبد العزيز الثعالبي الذي كان يعتقد أنه هو مؤلف "تونس الشهيدة" وكان يقوم بحملة ضد سياسة فرنسا منذ شهر جويلية 1919، ولما عجزت عن حضر توزيع كتاب "تونس الشهيدة" بفرنسا وألح المقيم العام فلاندان في شهر فيفري 1920 على ضرورة مراقبة تحركات الثعالبي وإنذاره فأمر بحجز قانوني للوثائق التي وضع اعتراضها والتي لا يمكن أن يكون لها حاليا أي وجه من وجوه الاستكمال، فطلب المقيم العام من وزارة الخارجية النظر في ما إذا كان من الممكن إصدار إذن إلى قاضي التحقيق بمقاطعة السيد المكلف بالتحقيق في المؤامرة على أمن الدولة بإجراء تفتيشات فورية ضد الثعالبي وشركائه، أضاف بأن تحجز نفس المراسلة في مكتب البريد طبقا للفصل العاشر من قانون التحقيق الجنائي[3].

1_ الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 54_55.

2_ علي المحجوبي، جذور الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 71.

3_ " " " "، المرجع السابق، ص 289.

فتح المجلس العسكري بمدينة تونس تحقيق ضد الثعالبي لقيامه بحركة انفصالية، وإثر ذلك أجرت الشرطة العدلية في 23 جوان 1920 على الساعة الرابعة صباحا طلب من وزارة الحرب وبمقتضى إنابة قضائية بالتفتيش في منزل زعيم الشباب التونسي، والهدف من ذلك هو حجز ما قد يكون لدى الثعالبي من وثائق ووسائل للاستدلال على تواطئه مع المشاغبين من حركة تركيا الفتاة الموجودة في اسطنبول أو في برلين، وفي 31 جويلية 1920 أوقف الثعالبي وحبس في سجن "شيرش ميدي" قبل أن ينقل في 22 أوت الموالي إلى السجن المدني بمدينة تونس وبعد ذلك بثلاثة أشهر في 28 أكتوبر 1920 أصدر الجنرال قائد جيش الاحتلال أمرا بالتحقيق ضد عبد العزيز الثعالبي ومحمد باش حامبة وفرحات بن عياد، ومحمد الرياحي بتهمة التآمر على أمن الدولة وأوقف هذان الأخيران في 30 أكتوبر 1920 بعد تفتيش منزلهما وكان باش حامبة آنذاك في المنفى في برلين إلى أن توفي على هذه القضية المتعلقة بالتآمر على أمن الدولة تنتهي بالحكم بعدم سماع الدعوى وإطلاق سراح الثعالبي الذي استفاد مثل شركائه في التهمة من قانون العفو العام الصادر في 29 أفريل 1921.[1]

ـ **إيقاف ستة موظفين دستوريين عن العمل:** ومن جهة أخرى اتّخذت إجراءات لإيقاف موظفين تونسيين العمل لمشاركتهم في 18 جوان 1920 مع الوفد المكلف بعرض المطالب التونسية على الباي فأصدرت إجراءات لإيقافهم[2].

ـ **المقيم العام:** "سان لوسيان" اشتهر بالدهاء واستعمل كل الوسائل لزرع بذور الخلاف بين الوطنيين وبين النقابيين، فكان يستميل الشخصيات بمنحها الامتيازات واستنادها الأوسمة فبعث الانشقاق في صفوف الحزب الحر الدستوري القديم، وشجع من طرف خفي حسن القلاتي على بعث حزب آخر عن الحزب الإصلاحي، وقام فرحات بن عياد ببعث الحزب الدستوري المستقل لتتناحر فيما بينها ولإضعاف الحركة الوطنية، فهاجر الثعالبي إلى الشرق في جويلية 1923 لكثرة المضايقات والخلافات.[3]

وأصدر المقيم العام قرارا بحل جامعة عموم العملة في سنة 1924 للقضاء على أول حركة نقابية تونسية بعثها محمد علي الحامي وأصدر أوامر تمنع كلّ الحريات الصحافية والاجتماعات[4].

1_ علي المحجوبي، جذور الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 290.

2_علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 291.

3_ عبد الكريم عزيز، نضال شعب أبي، المرجع السابق، ص 184- 185.

4_ يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية، المرجع السابق، ص 123.

المبحث الثالث: أفكاره وآثاره:

1. الصحافة:

بعد توسع مدارك عبد العزيز الثعالبي بدأ يطالب بالإصلاحات ومحاربة الجمود والبدع والخرافات التي انتشرت في تونس متأثرا بأساتذته المصلحين ممن ورثوا الإصلاح عن الوزير خير الدين، وفيه بدأ ينشر أفكاره منذ 1894 عندما شرع في الكتابة على صفحات العيد من الجرائد المصرية كالمقياس والقيوم والليل يوقعها بأسماء مستعارة[1]، كانت بداية نشاطه بتونس من خلال الدعوة إلى الإصلاح الديني والاجتماعي، حيث أسس عام 1895 جريدة "سبيل الرشاد"[2]، وهي جريدة أسبوعية سياسية دينية تاريخية أصدرت أول أعدادها في 16 ديسمبر 1895 واتجاهها وطني معارض للحماية الفرنسية وعدد صفحاتها أربعة أما معدل سحبها خمس مائة نسخة وشعارها "أنها تقدم الملة والجامعة والحكومة والوطن"[3]، كما كان يبدأها الشيخ الثعالبي بمقال يتجاوز الصفحة الواحدة إضافة إلى الحوادث الأخرى التي كان يحررها بنفسه[4].

فمنهجها الدفاع عن الإسلام والشوائب العالقة به بفعل بعض المغرضين قائلا: "وأدفع حسب علاقتي كما يرمي به الإسلام، وما يشيعه عنه ذوي الأرجاف من باطل الكلام حفظا لناموسه الشريف، وصونا لقدره العالي، وذلك لأنها تهم باطلة تنسف عن أفكاره عاطلة يوجهها من لا خبرة له حالة ولا يعلم إلا ما دسّ به عليه المغرض"[5].

وبدأ الناس يلتقطون من كلامه حتى بلغت أسماع كبار الشيوخ الناقمين من التطور فأثارتهم ثورة عارمة أدت بهم إلى تناسي خلافاتهم ودفعهم لمقاومة عبد العزيز الثعالبي والخلدونية[6]، غير أن سلطات الحماية

1_ صالح الخرفي، عبد العزيز الثعالبي من آثاره، المرجع السابق، ص 57.

2_ حبيب حسن اللولب، دور الصحافة العربية في تفعيل الوعي الوطني بالبلاد التونسية (1860_1912)، رسالة ماجيستير، جامعة الجزائر، 2001، ص 27.

3_ أحمد خالد، المرجع السابق، ص 272.

4_ المرجع نفسه، ص 378.

5_ الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 03.

6_ كوثر هاشم، المرجع السابق، ص 76.

عطّلتها بعد مرور عام على إصدارها[1]، بعدها أصدر قانون جديد للصحافة سنة 1901 وخفف من قيودها ورفع وجوب الضمان المالي المرهق الذي كان كل طالب لامتياز صحيفة الخلدونية تخوض في المباحث الدينية وتناصر الفكرة الإسلامية[2]، كما أنها لعبت دورا بارزا في نشر الفكر الإصلاحي[3].

كما كتب في جريدة الحاضرة وجريدة التونسي، وساهم مع الفرنسي "ديستري" في تأسيس جريدة البريد التونسي[4]، وكما كتب في جريدتي المبشر والمنتظر فعطلتها الحكومة[5].

ـ **جريدة الاتحاد الإسلامي:** أسس علي باش حامبة بمعية عبد العزيز الثعالبي جريدة الاتحاد الاسلامي لدعوة المسلمين إلى تكتل في وجه الهيمنة الأوروبية وردّ على مقالات جريدة l'unième الوحدة التي تصدرها الجالية الإيطالية بتونس ولقد أنشأ الثعالبي الحزب الوطني الإسلامي الذي كان يدعو إلى تحرير العالم العربي كله وقيام الوحدة الشاملة[6]. وأصدر الثعالبي نشر عربية على التونسي سميت الاتحاد الإسلامي وتولى بنفسه تحريرها[7].

تأسست سنة 1909 وقد برز فيها اتجاهه الوحدوي الإسلامي إلى حين تعطيلها في السنة الموالية من طرف السلطات الاستعمارية[8]، كمّا سخّرها للدعوة إلى الجهاد ودعا إلى مساعدة المجاهدين الطرابلسيين ماديا ومعنويا، وقد عبّرت الجريدة بقوة عن عواطف التونسيين الإسلامية[9].

ـ **جريدة التونسي**[10]: أصدر عبد العزيز الثعالبي جريدة "التونسي" سنة 1909 وأشرف على تحرير النشرة العربية[11]، فكان مترجما لجريدة "التونسي" التي أصدرت أولا باللغة الفرنسية، فأمسك بذلك بزمام

1_ كوثر هاشم، المرجع السابق، ص 76.

2_ الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 34.

3_ رابح فلاحي، المرجع السابق، ص 41.

4_ محمد السعيد عقيب وكوثر هاشم، الفكر التحرري عند الشيخ عبد العزيز الثعالبي وأبعاده الوطنية والقومية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مجلة دورية دولية محكمة، ع 19، ص 254.

5_ محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، ج 1، بيروت، 1982، ص 213.

6_ خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 76.

7_ عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، المصدر السابق، ص 11.

8_ زهير الذوادي، المرجع السابق، ص 12.

9_ يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري، المرجع السابق، ص 107.

10_ الملحق رقم(09).

11_ عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا، المرجع السابق، ص 8.

القيادة الوطنية في الميدان الصحفي[1]، وبذلك انفصلت الحركة الوطنية نهائيا بتأثير الثعالبي، عن التأثير الثقافي العربي ومعاداة الثقافة العربية، وقد أصبح مقر جريدة التونسي هو مقر قيادة الحركة الوطنية[2].

وكان الثعالبي يفتتح جريدة "التونسي" بسانحة تنبه الشبيبة التونسية إلى مسالك التحرير والتنوير الذي بلغ درجة عالية من التنديد بالهيمنة الاستعمارية[3].

وتهدف هذه الجريدة في الدفاع عن مصالح الشعب التونسي، فقد شهر محرروها بالمصير الذي حددته السلطة الفرنسية للمسلمين كما أدانوا المظالم والامتيازات، وعدم المساواة وطالبوا بحق الأهالي في التعليم وممارسة جميع الوظائف الإدارية والمساهمة في اتّخاذ القرارات الحكومية بواسطة مجلس منتخب[4].

لقد كانت جريدة التونسي الحاضرة مقر تجمع رجال الفكر العربي الإسلامي وتوحيدهم وفيه كانت تطرح قضايا ومشاكل العصر، وتبرمج فيه النشاطات والأعمال[5].

ـ **مجلة الفجر:** أنشأ عبد العزيز الثعالبي مجلة الفجر في أوت 1920 حيث كانت تحث على أن مصدر التوجيه هو الدين الإسلامي وأن الدين قوامه العلم والأخلاق ووسيلة نشر الدعوة هي التسامح[6]، وأن من حق الدعوة الإقدام في سبيلها والاستخفاف بما يتعرض له القائم بها من متاعب أو يناله من إرهاق[7]، حيث اهتم بالدراسات التاريخية الإسلامية فأصدرها "بمجلة الفجر" في إحدى عشرة حلقة، حيث نشرت الحلقة الأولى في العدد المؤرخ في 1 أفريل 1921[8]، وصدرت الحلقة الأخيرة في صيف 1922، والذي لم يوزع[9].

1_ محمد الفاضل ابن عاشور، المرجع السابق، ص 144.

2_ الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 41.

3_ فتحي قاسمي، الشيخ عبد الثعالبي طليعة نضالية تونسية أهملها التاريخ، الرابط: https://www.turkpress.co/node/69764، 2020_03_16.

4_ أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 493.

5_ رابح فلاحي، المرجع السابق، ص 41.

6_ محمد عبد الرحمان مؤنس، المرجع السابق، ص 259.

7_ أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 248.

8_ أحمد طرفاوي، المرجع السابق، ص 30.

9_ عبد العزيز الثعالبي، سقوط الدولة الأموية، المرجع السابق، ص 8.

2. مواقفه الفكرية:

ـ التعليم والتربية: أوّل من تعرّض للانتقاد الزيتونة هو خير الدين باشا الوزير ولقد حمل المجددين بين لواء التسيير وضرورة الانتفاضة على القديم البال الذي لا يفيد في تغيير الوضع، ويبدو أن النقد الذي وجّهه الثعالبي من خلال رسالة صدرت في مجلة المنار بتاريخ 14 أفريل 1905، حيث جاء فيها بأن (علماء الزيتونة جاهلون، متكبرون، يتعاملون وهم آلهتنا حديثهم بطونهم مباحثهم خاصة بعجائب الشكاية وكرامات القبور وكلهم كعلم آلهة الآشوريين لا يزيد ولا ينقص ولا يتجدد ولا ينعدم وهو محصور في تصريف أكلا يِؤكل أكلا).

فالأفكار والاصلاحات التي ظل التونسيون على إدخالها في المؤسسة العريقة الزيتونة إنما كانت في صالح الأمة وتماشيا مع التطور الحاصل سواء تلك التي نادى بها خير الدين باشا أو الثعالبي أو غيرهما[1].

منذ بداية نشاطه الوطني اهتم الشيخ عبد العزيز الثعالبي بمشاكل التعليم فأيد وشارك في الحركة الاحتجاجية التي قام بها طلبة جامع الزيتونة وإضرابهم سنة 1910 للمطالبة بإصلاح نظام التعليم الزيتوني، حيث كان مع الطلبة المتظاهرين أمام قصر الحكومة في اليوم الأول من الإضراب 16 أفريل، وسخر النشرة العربية من جريدة التونسي للدفاع عن قضية الطلبة والتهجم على الشيوخ المعارضين لكلّ إصلاح[2].

فقد كان التعليم في تونس يسمو بارتقاء وطني يتممه الاتحاد الأوروبي حتى فرنسة عليه الحماية الفرنسية وتحطمت تلك النهضة العلمية واعتبر نظام الحماية تنظيم متكامل الذي وجد عليه التعليم التونسي خطر وعائق أمامها خاصة تعليم اللغة العربية لأنه يدرك التأثير الكبير والذي في حفظ وتنمية مفهوم الشخصية والذاتية التونسية وبالتالي تجعل من استعمار البلاد في غاية الصعوبة، فاضطهد التعليم منذ 1881 وإن كانت الحكومة الفرنسية قد وافقت على بعض التراجع عن موقفها الحاد اتجاه التعليم وسمحت بممارسة على نطاق معين إلّا أنّها فاوضت بكلّ قواها القيام بأيّ إصلاح في الثقافة التونسية[3].

1ـ رابح فلاحي، المرجع السابق، ص 85.

2ـ كوثر هاشم، المرجع السابق، ص 79.

3ـ عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، المصدر السابق، ص 58.

أكد كذلك الثعالبي على حافة تنظيم البنات المسلمات التونسيات، ومع ذلك رغم إقناعه واعترافه بأن تثقيف المرأة التونسية شرط أساسي لتقدّم المجتمع، إلا أنه عارض تعليمها أوروبيا، خوفا من تأثر البنات وتضررهم من التعليم الذي تتولاه سلط الحماية الفرنسية[1].

فكان يدعو إلى تعليمهم التعليم ونشره بين التونسيين ذكورا وإناثا، ويركز على ضرورة تلقين كافة مواده باللغة العربية، ومقاومة المشاريع الاستعمارية التي كادت تحرمهم من قوميتهم وشخصيتهم، على أن لا يبقى منغلقا على نفسه، بل وجب أن يكون واكبا لتطور العصر، مرتكزا على تلقين العلوم الصحيحة، حريصا على الملائمة بين الثقافة العربية الإسلامية الأصيلة والمدنية الحاضرة[2].

حيث عرض عبد العزيز الثعالبي موقفه من التعليم في كتابه تونس الشهيدة بالنسبة للمرأة خاصة قائلا: "إن الزج بأنفسنا في هذا الطريق يعني انتحارا بأيدينا، ذلك أن المرأة هي راعية العائلة والمحافظة على المجتمع، فدفعها في طريق المدارس الحكومية هي بمثابة الإلهاء بما تبقى من عبقريتنا في الهاوية".

وهذه السياسة الرامية لتوجيه الأطفال نحو المدارس المهنية بسلط الحماية آلت إلى إهمال المعاهد التونسية التي يتلقى فيها التلاميذ تعليما تقليديا متجددا[3] فالسلطة الفرنسية اتجهت في سياستها التعليمية في تونس إلى محاربة اللغة العربية، وحاولت جاهدة بشتى الطرق إلى الوقوف في سبيل انتشار التعليم[4].

3. آثاره:

ـ كتاب تاريخ شمال إفريقيا: بعد رجوع عبد العزيز الثعالبي إلى تونس بعد رحلته الأخيرة سنة 1938 ألّف هذا الكتاب حيث عالج فيه موجز لتاريخ المغرب العربي منذ بداية الفتح الإسلامي إلى سقوط الدولة الأغلبية (647م إلى 909م) تحدث فيه عن أعمال التخريب التي جرت في إفريقيا من طرف الكاهنة لمنع العرب من الاستيلاء عليها كما ركز المؤلف عن الأحداث السياسية واتّهم العباسيين بتفكيك الوحدة الاسلامية واهتم بموضوع الشيعة واتهمها بالكفر والإلحاد وبث روح الشقاق بين المسلمين ولم يذكر الثعالبي الغرض من تأليف هذا الكتاب غير أنه أشار إلى ذلك من خلال عرضه وسرده للوقائع والأحداث التاريخية[5].

1_ المصدر نفسه، ص 66.

2_ كوثر هاشم، المرجع السابق، ص 83.

3_ أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 302.

4_ تامر الحبيب، المرجع السابق، ص 61.

5_ عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا... ، المصدر السابق، ص 17.

ـ **كتاب الرسالة المحمدية:** قام فيه بتبيان حقيقة الرسالة المحمدية الخالدة من نزول الوحي إلى غاية يوم وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وكان له اهتمام شديد لها الكتاب على غيره وذلك لعظمة الرسالة المحمدية والنقص الذي ساد في مكتبات المسلمين في سيرة ورسالة المصطفى عليه السلام كما أنه أراد أن يقطع الطريق على الذين أرادوا أن ينفثوا سمومهم من المستشرقين حول سيرة ورسالة المصطفى عليه الصلاة والسلام كما أن عبد العزيز الثعالبي لم يضع عنوان لهذا الكتاب غير أن تكرر جملة الرسالة المحمدية وهو ما جعل المحقق إلى وضعها عنوان[1].

نشرها عبد العزيز الثعالبي في مجلة الإدارة الفرنسية يوم 09 مارس 1939 تحت عنوان "خلاصة من التاريخ القديم" أين تناول الكاتب فيه دراسة فصله للأدوار التاريخية التي مرّ بها الشمال الإفريقي إلى غاية الفتح الإسلامي والصراع القائم على سيادة العالم[2]، كما أنه خلاف المدارس الكلاسيكية والتي تبدأ من تاريخها لشمال إفريقيا بالفتح الإسلامي دون الاهتمام بالفترات السابقة وهذا ما يبذو جليا في تأثره حول تحليل الأحداث وفلسفة التاريخ[3].

ومن آثاره كذلك مجموعة من الوثائق في شكل رسائل وتقارير حول رحلته إلى اليمن 1924 ومهمته السياسية في الحجاز عام 1926 في سبيل تحقيق الوحدة اليمنية من جهة وتحقيق المصالحة بين السلطات نجد والحجاز "عبد العزيز ابن السعود" وإمام اليمن "يحي بن محمد حميد الدين" من جهة أخرى وجمعت أخرى وجمعت هذه الوثائق في كتاب بعنوان "الرحلة اليمنية"[4].

ـ **كتاب الرحلة اليمنية:** من بين المخلفات التي تركها الشيخ عبد العزيز الثعالبي التي احتفظ بها الدكتور أحمد بن ميلاد طوال أكثر من نصف قرن ويوجد أهم قسم من هذا الكتاب يتمثل في الرحلة اليمنية حيث وصف مراحلها بالتفصيل، أما الجزء الثاني فقد أشار إلى المساعي التي قام بها لدى المسؤولين اليمنيين والعدنيين، لإقناعهم بعقد مؤتمر قومي عام للنظر في سبل توحيد اليمن وتخليصه من الهيمنة الأجنبية[5].

1_ " " " "، الرسالة المحمدية من نزول الوحي إلى وفاته صلى الله عليه وسلم، تح: صالح الخرفي، دار ابن كثير، بيروت، د.س، ص 7.

2_ " " " "، مقالات في التاريخ القديم، تع: جلول الجريدي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 10.

3_ " " " "، الرحلة اليمنية، المصدر السابق، ص 5.

4_ عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا... ، المرجع السابق، ص 17.

5_ عبد العزيز الثعالبي، الرحلة اليمنية... ، المصدر السابق، ص 5-7.

ـ **كتاب مسألة المنبوذين في الهند:** تناول فيه الثعالبي قضية استراتيجية تتعلق بموقع ووضع الأقليات في المجتمعات المتعددة الأديان والجنسيات[1].

ـ **كتاب الروح الحرة للقرآن:** ألفه عبد العزيز الثعالبي وترجمه إلى الفرنسية الهادي السبيعي مع خريجي الصادقية الذين يحسنون الفرنسية وطبع الكتاب سنة 1905، وكتبت عنه جريدة الأهرام وترجمت مقدمته في شهر أكتوبر من العام نفسه[2].

ـ **كتاب روح التحرر في القرآن:** أول كتاب أصدره سنة 1905، لما كان في باريس، حيث عرض فيه ال1طابع العام للعلاقات بين الشرق والغرب، وطرح فيه قضايا ذات صلة ترتبها بالتجديد والحداثة، ومسائل أخرى ترتبط بالإصلاح الديني والاجتماعي، ونقل الكتاب إلى الفرنسية من طرف مؤرخ تونسي "حمادي الساحلي" ونشر عام 1985[3].

ـ **كتاب تونس الشهيدة:** أصدر الثعالبي كتاب تونس الشهيدة في جانفي 1920[4] في باريس باللغة الفرنسية[5] بدون توقيع[6]، وقام بترجمته الأستاذ "أحمد السقا" حيث تناول فيه فكره السياسي الوطني، واعتبر الحماية الفرنسية على تونس نكبة على الشعب التونسي كما اعتبره زبدة تجربة التونسيين السياسية ومعاناة حركتهم الوطنية وتطورها منذ بداية الاحتلال[7]، كما ضم هذا الكتاب مظالم الحماية الفرنسية واستبدادها بحقوق الشعب التونسي ودعا إلى التذكير بمبادئ الثورة الفرنسية المبنية على الحرية والإخاء والعدالة والتي كانت تحرض على نشرها على مستوى العالم[8]، أصدر بدون توقيع فنجح نجاحا متقطع النظير، عمل على تعميمه في حنكة ومهارة، أرسله بالبريد إلى كل المسؤولين في فرنسا من وزراء ونواب وموظفين كبار وإلى المحافظات الفرنسية، وتمكن بوسائله الخاصة من إيصاله إلى تونس سرا واستلهمه الناس في كتابة العرائض ، واقتطعت منه الصحافة الحرة مقاطع كثيرة نشرتها، ونتيجة الضجة

1_ زهير الذوادي، المرجع السابق، ص 286.

2_ الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 36.

3_ أحمد طرفاوي، المرجع السابق، ص 29.

4_ خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، 1900-1956، ج1، دار كرداده، ط 2، الجزائر، 2013، ص 352.

5_ الملحق رقم(10)

6_ عبد المجيد كريم وآخرون، المرجع السابق، ص 61.

7_ بوطيبي محمد، دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية ما بين 1900- 1930، دار الهدى، الجزائر، 2012، ص 125.

8_ يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري، المرجع السابق، ص 116.

التي أحدثها الكتاب ألقيت الحكومة الفرنسية القبض على الثعالبي في 13 جويلية 1920 وجيء به مخفورا إلى تونس بتهمة تهديد أمن الدولة الفرنسية والتآمر عليها[1].

طبع هذا الكتاب في باريس 1920 في أكثر من 2000 نسخة موجهة إلى الرأي العام الفرنسي كما أرسلت نسخ إلى أعضاء جامعة حقوق الإنسان والشعب الاشتراكي كما وجهت نسخ إلى العالم العربي ودول المشرق والذي نال إعجاب وتقدير الجميع خاصة منهم البرلمانيين الفرنسيين[2].

يتضمن هذا الكتاب نقد السياسة الاستعمارية التي انتهجها النظام القائم في البلاد التونسية، ويعتبر أهم ما ألف من كتب في هذا الموضوع[3].

ـ **كتاب سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية (132هـ، 750م):** نشره الثعالبي في مجلة "الفجر" غير مجموع، درس فيه دراسة واسعة للأدوار الأخيرة للحكم الأموي مع استقصاء عوامل السقوط وأسباب الثورة، واستخلاص القوانين العامة لسقوط نظم الحكم لعدم انسجامها مع التطلع الشعبي، وقد صدرت هذه الرسالة في 11 حلقة كانت أولها في 1 فيفري 1921 وهو لا يزال في السجن، وآخرها في العدد الأخير من مجلة الفجر في جويلية 1922 والذي لم يوزع[4].

ـ **كتاب "محاضرات في التكفير الإسلامي والفلسفة"** ضمّ هذا الكتاب مجموعة المحاضرات التي ألقاها الشيخ عبد العزيز الثعالبي بجامعة "آل البيت" في بغداد من سنة 1926 إلى 1930م، وأن المجموعة الأولى من تلك المحاضرات من هذا الكتاب تم نشرها في مجلة "الجامعة" الصادرة عن جامعة "آل البيت" من سنة 1926 إلى سنة 1928 إلى أن قامت دار الغرب الإسلامي بإعادة نشرها في 1985 في كتاب مستقل بذاته تحت عنوان "محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان"[5].

ـ **كتاب رحلة الشرق الأقصى:** يمثل هذا الكتاب أحسن ما كتبه المؤلف فهو يتضمن دراسات مفيدة حول حياة المسلمين في جاوة والهند، وعرضا مفصلا لمعتقدات الراهبة والبوذية وأسرار الكهنوتية وآدابهم الدينية وخفايا سيطرة الأجانب على المسلمين وبراعتهم في تفكيك العناصر التي ترتكز عليها الوحدة

1_ عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، المصدر السابق، ص 17.

2_ يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري التونسي، المرجع السابق، ص 117.

3_ عبد العزيز الثعالبي، سقوط الدولة الأموية... ، المصدر السابق، ص 40.

4_ المصدر نفسه، ص 5_8.

5_ عبد العزيز الثعالبي، محاضرات في التفكير الاسلامي في الفلسفة (1876_ 1944)، تق: حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1999، ص 5.

الوطنية مع إبراز الفوارق بين مختلف سياسات الدول الاستعمارية التي تحتلها، بالإضافة إلى الدراسات التاريخية وأسباب انتشار الإسلام في تلك الأقطار الشقيقة واندماجها في صلب العالم الإسلامي[1].

1_ " " " "، سقوط الدولة الأموية، المصدر السابق، ص 40.

خلاصة الفصل:

ـ نشأ عبد العزيز الثعالبي في بيئة أسرية محافظة على القيم الدينية تجلت من خلال رفضه للاستعمار الفرنسي.

ـ لقد كان لتكوينه العلمي والفكري أهمية بالغة في قيامه برسالة نضالية حمل همومها منذ نعومة أظافره، فلم تقتصر حياته على الجانب السياسي فحسب ، بل تعدى للجانب الفكري أيضا، كان مفكر وأديبا، وإلى جانب العديد من المقالات التي نشرها في الجرائد والمجلات، وقام بتأليف عدد من الكتب، بين من خلالها منطلقاته الفكرية، وتوجهاته السياسية.

الفصل الرابع:

المقارنة بين الشخصيتين

المبحث الأول: موقف مصالي الحاج وعبد العزيز الثعالبي من الاحتلال الفرنسي

المبحث الثاني: دفاعهما عن القضية الوطنية لبلديهما

المبحث الثالث: موقفيهما من القضايا العربية والاسلامية

المبحث الأوّل: موقف مصالي الحاج وعبد العزيز الثعالبي من الاحتلال الفرنسي

1. موقف مصالي الحاج من الثورة التحريرية:

بعد رجوع مصالي الحاج من أداء فريضة الحج، قام بالسفر إلى القاهرة في سنة 1951 حاملا معه وثيقة مطالب تركزت على القضايا السياسية والعسكرية، كتوفير السلاح والمال وتنسيق الجهود مع التونسيين والمعزيين، وضمان تغطية على الصعيد السياسي والدبلوماسي وبغرض تحضير العمل المسلح دخل مصالي الحاج الجامعة العربية كشخصية لها وزنها السياسي، وبحضور بعض الشخصيات العربية كما سمحت الفرصة لمصالي الحاج باطلاع الحضور على مسار حزبه وأهدافه السياسية والعسكرية، وأكد للشخصيات التي تحدث معها على أهمية قيادة حركته الاستقلالية لتحضير العمل وجهود التنسيق لتعميمها مغاربيا[1]، ليرجع بعد ذلك إلى باريس أين استقبل بودة ومزغنة وبن خدة وطلب منهم ان يبعثوا مناضلين للتدرب في المدرسة العسكرية بالقاهرة[2]، لأن مصالي كان يرى أنه لا يتحقق للاستقلال إلا بالإعداد المسلح للعمل المسلح[3].

كما يظهر موقف مصالي الحاج واتباعه الرافض للرفض الذي قدمه أعضاء اللجنة الثورية بخصوص تفجير الثورة المسلحة، حيث اعتبر نفسه المسؤول الأول عن الثورة مؤكدا أن الأولية تعطى لحسم الخلافات السياسية داخل حركة الانتصار قبل الشروع في العمل المسلح[4].

والحقيقة أن مصالي الحاج وانصاره يأخذون هذا العرض مأخذ الحد معتقدين أن تلك المجموعة غير قادرة على فعل شيء، وهذا ما يؤكده شهادة على لسان أقرب مساعدي مصالي الحاج آنذاك وهو أحمد مزغنة جاء فيها[5]: "في 15 أغسطس غادر بن بولعيد الأوراس إلى طرابلس ناقلا رسالتين إحداهما موجهة إلى واحد يدعى "أحمد" لم غير أحمد بن بلة، وقد شرب الخير إلى أحد المركزيين .... فزار مسؤولا مصاليا ليعلم بما يحاك، كان تفجير العملية محددا وفقا لهذا الناقل في نهاية سبتمبر.... وما إن علم مزغنة بالأمر حتى انتقل بالطائرة من الجزائر لزيارة مصالي في نيور وإعلامه بتلك الاستعدادات، التي لم يكن الرجلان يأخذانها، في كل حال، كثيرا على محمل الجد، سواء بالنسبة للتاريخ المتصور، أو بالنسبة للمضمون...."

1_ رضا ميموني، دور الوطنيين المغاربة في حركة تحرير تونس والجزائر من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2012، ص

2_ عمار نجار، المرجع سابق، ص128.

3_ رضا ميموني، المرجع السابق، ص35 36 37.

4_ محمد حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، تر: كميل قيصر داغر، ط1، دار الكلمة، بيروت، لبنان، 1983، ص104.

5_ المرجع نفسه، ص 107.

وبالرغم أن مصالي الحاج رجلا وطنيا من الطراز الأول، لكنه عيبه الوحيد أن مطالبه بقيت دائما مجرد شعارات لم تعرف طريقها إلى التطبيق وهذا ما مميزه عن جماعة الثورة الذين ذهبوا مباشرة إلى الهدف لأن تحقيق الرغبات الوطنية التي يتحدث عنها مصالي لن تأتي طبعا على شكل هدية تمنحها فرنسا الاستعمارية للجزائريين، إنما تأتي عن طريق نفس العمل الذي حدث ليلة أول نوفمبر ولو انتظرنا تلك الهدية لما وجدنا ما يسمى بالجزائر الآن ولما تقدمنا خطوة واحدة إلى الأمام[1].

يبدو أن مصالي الحاج بقية رهينة أفكاره، التي شكلت لديه خلال الأزمة وأنه لم يكن يعلم أن ذلك كان من الماضي الذي اندثر، لقد نظر مصالي الحاج إلى الثورة نظرة شخصية بحقه، ولم يعطها بعدها الحقيقي كثورة شعبية لإعطاء كفاح الشعب الجزائري واقعا عمليا مغايرا لتلك النضالات السابقة التي اختصرت على الخطب والمطالب المكتوبة على صفحات الجرائد[2].

لقد صعب على مصالي الحاج أن تأخذ الثورة طريقها بدونه كيف لا وهو الزعيم الذي لا يتناقش لقد استنكر أن تنطلق الثورة بقيادة غيره خاصة إذا كان هؤلاء من تلاميذه[3].

وقد اعترض أنصار مصالي الحاج بالواقع إلا أنهم لم يتّخذوا موقفا صريحا وذلك من خلال تصريح 4 نوفمبر 1954 الذي جاء فيه (إن الأحداث مشابهة لأحداث تونس والمغرب وقعت في الجزائر ولا واحد يجهل أن الأسباب العميقة تكمن من جهة في تجاهل عنيد للحقائق التي أفرزت المشكل سواء الجزائر أو في المغرب أو في تونس، ومن جهة أخرى تكمن في سياسة القوة والقمع التي تواجه بها بقسوة طموحات شعب شمال إفريقيا[4].

كما راجت في المهجر شائعات مفادها أن مصالي وراء انطلاق الثورة، وذلك من خلال الرسالة التي أصدرها في الثامن نوفمبر، وكانت المظلة التي تجمعهم بالمركزيين هي الإسراع في كسب المحايدين خاصة بعد أزمة جويلية 1954. حيث حاولوا بجميع الوسائل استقطاب وتبنّي الانطلاقة ومحاورة قادة جبهة التحرير الوطني للتوغل فيها ومشاركتها القيادة[5].

ورغم إصرار مصالي الحاج على موقفه الرافض للتعاون مع أعضاء جبهة التحرير ولتفجير الثورة كونه يرى أولويته للعمل المسلح، وباندلاعها، اعتقد الكثير بأن مصالي قائدها، ولم يعلموا بأنه لم يكن ورائها إلا

1_ محمد حربي، المرجع السابق، ص 114.

2_ لخضر بورقعة، شاهد على اغتيال الثورة، ط 2، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، 8 ماي 2000، ص 220.

3_ المرجع نفسه، ص 220.

4_ عبد المالك جويبة، المرجع السابق، ص 14.

5_ المرجع نفسه، ص 14.

بعد أشهر[1]. كما حدث في المهجر إذ رجحت الشائعات بأن مصالي هو وراء اندلاع الثورة[2]، ولم يتخذ مصالي موقفا علنيا وصريحا يوم 8 نوفمبر 1954[3]، ولم يتخذ مصالي موقفا علنيا مباشرة بعد اندلاع الثورة إلا بعد فترة، ما أكدت حقائق تاريخية بأنهم فوجئوا بانطلاقها[4].

ويضيف مصالي الحاج أنه يوم 25 نوفمبر 1954 قام بإرسال رسالة إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية آنذاك السيد عبد الخالق حسونة يشرح له فيها موقفه من الثورة طلبا منه مساعدته في الثورة، وهنا نرى أن مصالي لم يكن ضد الثورة فكان مساندا لها وهذا ما يؤكده عمار نجار[5].

2. موقف عبد العزيز الثعالبي من الاستعمار الفرنسي:

كان للثعالبي اتصال بالغرب في وقت مبكر من حياته، فمنذ طفولته تكونت لديه معارف أولية من الاستعمار الغربي انطلاقا من بيئته الأسرية، وذلك من خلال ما كان يتلقاه من روايات عن الغزو الفرنسي للجزائر من طرف جده عبد الرحمان حيث كان يذكر له كيف استولوا على الجزائر[6]، فتعرف على حقيقة الاستعمار الفرنسي، وحزّ ذلك في نفسه، وزرع فيها روح العدائية لكل معتد على حق وأرض غيره، تلك الحقيقة التي رآها على جسد جده وهي آثار الرصاص الفرنسي على صدره، والتي بقيت شاهدة على جرم المحتل الذي أجبرهم مع غيرهم الجزائريين على الهجرة فرادى أو جماعات[7]، ويقول الثعالبي عن ذلك "كنت في طريق قريب من بيتنا وأنت صغير حينما دخل الجيش الفرنسي تونس فرأيت الكآبة تخيم على وجوه التونسيين فاستغربت ذلك، وكنت أجهل السبب، وذهبت إلى جدي فوجدته يبكي لأول مرة فقلت له مندهشا، لم هذا البكاء يا جدي؟ هل ضربك أحد؟ قال: نعم إن البلاء انصب عليا فيجب أن نرحل من هذه البلاد التي نعيش فيها، ولكني قد بلغت من الكبر عتيا لا أستطيع أن أرحل وأني خائف وجل أن تصيروا في المستقبل فرنسيين[8]، وورد في موقف آخر كان له أثر كبير حيث قال: "كنت صغيرا ورأيت أمي تبكي فسألتها السبب فقالت: أما رأيت الفرنج(الفرنسيون) مروا من هنا؟ وهؤلاء لا يخرجون إلا بالحرب" وقد كان حينها عمره سبع سنوات على مرور الاحتلال وحكايات الأم وحدسها بالمستقبل تصنع للإنسان

1_ آسيا تميم، المرجع السابق، ص 99.

2_ علي كافي، مذكرات من المناضل السياسي إلى القائد العسكري، 1940_1962، دار القصبة للنشر، الجزائر، 1999، ص57.

3_ عبد المالك جويبة، المرجع السابق، ص14.

4_ علي كافي، المصدر السابق، ص57.

5_ عبد المالك جويبة، المرجع السابق، ص15.

6- أحمد طرفاوي، المرجع السابق، ص 36.

7- كوثر هاشم، المرجع السابق، ص260.

8- صالح الخرفي، المرجع السابق، ص228.

السدوة التي يحوك عليها طموحة وربما قدره[1]، ومسيرته السياسية والحرب التي سيشنّها على الاستعمار في تونس وخارجها من أجل التحرير والانعتاق ارتبط الثعالبي في بداية مسيرته السياسية ببعض السياسيين والمصلحين الاوروبيين، وخاصة الفرنسيين ،الذين مثلوا التيارات الاشتراكية والراديكالية والليبيرالية التي شكلت جمعيات وصحف وعملت من أجل انتصار مبادئ الثورة الفرنسية التي كانت غاضبة من العنصرية العادية لشعوب المستعمرات، ومن بينهم الاشتراكي "روني بوياك"، صاحب جريدة "الليبيرال"، والاشتراكي الراديكالي ايمل ديستري صاحب صحيفة "البريد التونسي" و "ريمون كولرات" مؤسس النادي الجمهوري في تونس عام 1905، ومن اعجاب عبد العزيز الثعالبي المفرط بالأفكار التحررية، انظم إلى المنظمات التي تتبنى افكارا تحررية ودعت إلى حقوق الانسان، بما في ذلك انضمامه إلى الاتحاد التونسي للفكر الحر الذي تأسس عام 1903في تونس، والرابطة الفرنسية للدفاع عن حقوقك الانسان بحثا عن نصير وداعم ضد الاستعمار الفرنسي[2].

المبحث الثاني: دفاعهما عن القضية الوطنية لبلديهما

1. دفاع مصالي الحاج عن القضية الوطنية:

كان ميلاد نجم شمال إفريقيا سنة 1926 بين أوساط العمال، وقد ظهر في بدايته على شكل جمعية تدافع عن مصالح بلدان شمال إفريقيا الثلاثة، ورغم أن النجم لم يكن في بدايته جزائريا فإن وجود مصالي الحاج على رأسه جعله يضمّ بمصالح الجزائر[3]، وبالتالي فإن فكرة الاستقلال وجدت امتداد لها في في مصالي فقد أعلى عن كلمة الاستقلال لأوّل مرّة في مؤتمر بروكسل 10-15 فيفري 1927 عندما ألقى خطاب المعنون بضد الاستعمار واستقلال الجزائر، حيث ندد فيه بتمركز الامبريالية الفرنسية على أرض الجزائر وسياستها الزجرية ضد الجزائريين ثمّ طالب لأول مرة باستقلال الجزائر[4]، وكذلك طالب في هذا الخطاب بـ:

- انسحاب قوات الاحتلال الفرنسي.
- تأسيس جيش وطني.

1_ عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، المرجع السابق، ص6.

2_ كوثر هاشم، المرجع السابق، ص 261.

3_ يوسف مناصرية، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين 1919-1939، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 19 نوفمبر 2012، ص 58- 59.

4_ عمار نجار، المرجع السابق، ص 55-57.

- مصادرة كبرى المستثمرات الزراعية التي استولى عليها الإقطاعيون من خدام الامبريالية الكولون وشركات الرأسمالية الخاصة، وتسليم الأراضي والغابات التي استولت عليها الدولة الفرنسية[1].

وأيضا طالب بإلغاء قانون الأهالي والإجراءات الخاصة بالإضافة إلى احترام الأملاك الصغيرة والمتوسطة وكذلك الإلغاء الفوري لقانون الأنديجينا والقوانين الاستثنائية وحرية الصحافة والجمعيات والاجتماعات والتمتع بحق التعليم في جميع المراحل وإنشاء مدارس للعربية وتطبيق قوانين اجتماعية، وقد كتب الشاذلي خير الله مقالا في جريدة الإقدام تحت عنوان "من الشعوب في تقرير مصيرها" وهكذا حتى أن الشعوب تتألم هي نفسها التي هي نفسها التي تكافح وجماهير شمال إفريقيا التي اجتازت مرحلة تحمّل الألم قد دخلت ابتداءً من مؤتمر بروكسل في طور دقيق في الميدان الايديولوجيا الثورية[2].

ونلاحظ أن هذه المطالب كان لها تأثير في برنامج الأمير خالد وذلك من خلال ما يخص المسائل السياسية والثقافية أما المسائل الاقتصادية فيكون النجم قد تأثر بالحركة الشيوعية ويرجع إهمالهم للمسائل الدينية إلى كون أفراده كانوا بعيدين عن معاناة المسلمين في الجزائر من الناحية الروحية[3].

وما يدل على العزيمة والجدية اللتين تذرع بهما الحزب من اللحظة الأولى ثبوته في الميدان النضالي بالرغم من كل الظروف المعاكسة وقد استمر حتى بعد جاء رسمية من السلطة الفرنسية لسنة 1929م يكافح بشتى السرية والعلانية[4].

وقد كان هناك خلافات جدية بين النجم والحزب الشيوعي رغم بعض التقارب في الأهداف[5]، قد ازداد الحزب الشيوعي أن يرغمه على الخضوع إليه وإبقائه كمنظمة منطوية تحت سيطرته وسيطرت الشيوعية العالمية لكن الحزب امتنع وأبى الرضوخ لأي قوة غير وطنية وحسب شهادة "اكليبانون" فإن النجم عقد اجتماعا عاما ثانيا في نوفمبر 1927م، وضح المشاركون فيه على ميولاتهم الوطنية وقد توج الاجتماع بلائحة تطالب باستقلال الجزائر صادقت عليها الأغلبية الساحقة ممّا أثار غضب وانسحاب جميع العناصر التي كانت تعتقد بأن بإمكانها استعمال الجزائريين كقوة مناورة لصالح الحزب الشيوعي وكان "عبد القادر الحاج علي" في مقدمة المتجنس سنة 1928م كما انسحب الفرنسيون المتعاطفون مع النجم

____

1_ محفوظ قداش، نجم شمال إفريقيا، المرجع السابق، ص 59.

2_ محمد قنانش، الحركة الاستقلالية، المرجع السابق، ص 45-46.

3_ يوسف مناصرية، الاتجاه الثوري... ،المرجع السابق، ص 73-74.

4_ عبد الرحمان بن ابراهيم العقون، المرجع السابق، ص 128-129.

5_ أحمد محساس، الحركة الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، تر: محمد عباس، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003، ص 66.

ومنذ ذلك الحين أخذ الشيوعيون يقاطعون النجم[1]، ولم يبقى على رأس النجم سوى أفراد قلائل منهم مصالي الحاج، وبانوناكي فكان عليهم تطهيره من العناصر الشيوعية وتدعيمه بعناصر جديدة أمثال "عيماش عمار"[2]، واصلوا عملهم بحذر شديد لتجنب خطر السلطات الفرنسية[3].

سعى الحزب إلى تدوين القضية الجزائرية فبعث بمذكرة إلى عصبة الأمم سنة 1930م يناشدها بتحقيق مطالب الحزب[4].

حلّت فرنسا حزب نجم شمال إفريقيا سنة 1929م متهمة إياه بمعاداة فرنسا والدعوة إلى الثورة، ولكن المنظمة ظلت تعمل في الخفاء إلى سنة 1933م ظهر النجم بوجه جديد تحت اسم جديد أيضا هو النجم المجيد وأسس النجم جديدة ناطقة بإسمه سماها الأمة وعقد النجم المجيد مؤتمرا في 28 ماي 1933[5] حدد فيه الخطوط العريضة للبرنامج السياسي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي وحدد وسائل العمل كما حدد القوانين الداخلية باعتبار حركة النجم سياسيا وطنيا له إيديولوجية نابعة من أصالته والمتفتحة على عصره، وله أيضا استراتيجية خاصة تتماشى مع مبادئه الثورية[6].

وقد شارك النجم في العديد من التجمعات والمظاهرات بفرنسا وقد تجاهل قادته بقرار منع تجمعهم مندد بمساس الإدارة بالحرية الدينية ومنع التعليم في المساجد، وأدى هذا إلى ملاحقة مسؤولي النجم حيث اعتقل مصالي الحاج وعمار عيماش وبلقاسم واجن[7]، وحكم عليهم بالسجن ستة أشهر والتغريم وتم وتم حل النجم من جديد لكن مناضليه أسسوا في فيفري 1935 تنظيم الاتحاد الوطني لمسلمي شمال إفريقيا وتألق نشاط النجم مع توالي الجبهة الشعبية للسلطة في فرنسا وازداد توسعها بتفاعل الجماهير مع خطاب الزعيم مصالي الحاج في أول حضور له يوم 20 أوت 1936 بالملعب البلدي، وأثر ذلك على تغلغل وانتشار أفكاره وهذا الوضع لم يعجب الجبهة الشعبية التي تنكرت للنجم وقد لجأت في الأخير إلى حل تنظيم يوم 27 جانفي 1937[8].

1_ أحمد محساس، المرجع السابق، ص 66-67.

2_ محفوظ قداش ومحمد قنانش، المرجع السابق، ص 236.

3_ يوسف مناصرية، الاتجاه الثوري.... ، المرجع السابق، ص 75.

4_ عبد الرحمان بن ابراهيم العقون، المرجع السابق، ص 28.

5_ يوسف مناصرية، الاتجاه الثوري... ،المرجع السابق، ص 76.

6_ محمد قنانش، الحركة الاستقلالية، المصدر السابق، ص 59.

7_ محفوظ قداش ومحمد قنانش، المرجع السابق، ص 236.

8_ عبد الرحمان بن ابراهيم العقون، المرجع السابق، ص 166.

2. دفاع عبد العزيز الثعالبي عن القضية الوطنية لبلده:

لقد ملئت قضية تحرير تونس الركيزة الأساسية لأفكار عبد العزيز الثعالبي وجهوده، وكان هدفه الأول تخليص البلاد والشعب من كل ما هو غريب على المجتمع التونسي. فبدأ المستعمر بتنوير حقول التونسيين ورفع الركود الذي أصبح صفته المميزة من خلال تبنيه لمطالب الاصلاح في المقام الأول لأنه رأى في ذلك طريقة لمقاومة الاستعمار والحصول على حرية التونسيين ومن حريتهم الحق في الاستقلال، ولتحقيق هذا الأخير قام بتفعيل عمله الوطني الذي سخر من أجله كل الوسائل ،وقاد المقاومة الشرسة ضد السياسات الاستعمارية المختلفة لفرنسا، حتى أصبح حجر عثرة أمام سلطات الحماية التي حاولت الحصول عليها. تخلص منه وشدد الخناق عليه حتى غادر تونس وعندما عاد إليها مارس نشاطه في إطار حركة الشباب التونسي حتى عام 1912 بعد أحداث مظاهرات الزلاج عام 1911 وحادثة الترامواي عام 1912 في العاصمة تونس في 13 مارس، أصدرت الإدارة الفرنسية قرارا بإبعاد قادة الحركة الوطنية التونسية برئاسة عبد العزيز الثعالبي فنفي إلى فرنسا، ومنها سافر إلى ألمانيا، ثم إلى الأسنان التي دخلها في نوفمبر 1912 وبعد عامين عاد إلى تونس بعد رفع قرار النفي عنه، وبعد الحرب العالمية الاولى شارك في الوفد الذي قدم عريضة إلى الرئيس الأمريكي ويلسون أثناء انعقاد مؤتمر السلام في فرنسا في جويلية 1919 طالب فيه باستقلال تونس[1]، وفي مارس 1920 أسس الحزب الدستوري التونسي الحر، والذي من خلاله سيواصل مطالبه، حتى نفيه من قبل السلطات الفرنسية فغادر تونس في 26 جويلية 1923[2]، ولن يتمكن من العودة إلى حتى 09 جويلية 1937[3].

1_ كوثر هاشم، المرجع السابق، ص268_269.

2_ عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، المرجع السابق، ص 19_20.

3_ " " " "، الرحلة اليمنية، المرجع السابق، ص16.

المبحث الثالث: موقفهما من القضايا العربية والاسلامية

1. موقف مصالي الحاج من القضايا العربية:

يمكن رصد أهم العوامل والأسباب التي ساهمت في تشكيل البعد العربي لمصالي الحاج في النقاط التالية:

- لعب تكوينه الثقافي والاجتماعي دورا كبيرا في نضجه الفكري والسياسي المبكر، فقد انتمى للطريقة الدرقاوية وتأثر بتراثها الثوري وما كان بخدمة شيوخها من دروس وشروحات تركز على المحتوى العلمي نظريا، ولكنها عمليا تقوي من ارتباطه بأصوله العربية الاسلامية، كما نجد أن والده لعب دورا كبيرا في دفعه إلى الاهتمام بتطورات السياسية العلمية ويحاصره بأسئلة حول الموضوع أملا أن هذه الحركة سوف توقظ العالم العربي والاسلامي وتدفعه إلى التحرر[1].

- علاقة مصالي بشكيب أرسلان الذي مارس تأثيرا واضحا على القيادات والزعمات السياسية في المغرب العربي وخاصة على مصالي الذي كان يعد آنذاك من أنشط القادة الجزائريين، كما توقفت العلاقة بينهما بعد وصول مصالي الحاج إلى جنيف سنة 1935، وهناك كان يلتقيان لمناقشة وتبادل الأفكار حول مشاكل الساعة والصحافة اليومية وأخبار الشرق وشمال إفريقيا"[2].

- كما نجد أن الأوضاع التي عاشتها البلاد المغاربية في ظل الاحتلال، كانت متتابعة خاصة تلك المتعلقة بظروف شعوبها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بأنها تقاسمت بشكل جلي واقع الاحتلال الفرنسي على العموم الأمر الذي طرح فكرة النضال في إطار الشمال الإفريقي منذ حركة الأمير خالد، التي أصبحت جزء لا يتجزأ من فكر مصالي الحاج أثناء تواجده بفرنسا وحتى داخل الجزائر من خلال نشاط الحركة الوطنية.

وما أثبت ذلك التضافر في الجهود النضالية حضور ممثلان باسم نجم شمال إفريقيا هما مصالي الحاج الكاتب العام والشاذلي خير حيث قدم الأول مطالب الجزائر ومطالب المغرب وقدم الثاني مطالب تونس[3].

وقد أفصح مصالي الحاج عن تعسف الامبريالية الفرنسية في الجزائر واضطهاد المطالب الأساسية للجزائريين، أمّا الشاذلي خير الله عضو الحزب الدستوري الذي ألقى تصريحا باسم تونس[4].

1_ بنيامين سطورا، المصدر السابق، ص 20.

2_ مصالي الحاج، المصدر السابق، ص 185-186.

3_ محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1929-1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 41-42.

4- المرجع نفسه، ص 42.

وقد ناضل في كثير من الحالات من أجل استقلال الجزائر والوحدة المغاربية، فكانت مداخلاته المتتالية في مختلف التظاهرات تشير لذلك وأكدته تقارير الشرطة الفرنسية[1].

وكان يرى من الضرورة بالنسبة لشعوب المنطقة محاربة فرنسا ولا يحب الموت من أجلها، وصولا إلى الهدف الأسمى وهو الاستقلال الذي هو مطلبا جوهريا، وهو المنهج الأوحد للنجم ضمن سياق مغاربي حيث دلّت المناشير التي وزعت في تونس، إلى جانب ذلك نشره بيان عنوانه "من أجل استقلال شمال إفريقيا، رافض العمليات العسكرية الفرنسية في الأطلس المتوسط مناديا يا شعوب شمال إفريقيا انهضوا وتصدوا لحرب المغرب[2].

وقد سجل هذا التضامن المغاربي في حزب الشعب من خلال أحد مقالات جريدة الأمة فكتبت:" إن الجزائر ليست ملحقة بفرنسا بأي شعور، إن لم يكن شعور الكراهية التي بعثها في قلوبنا مئة سنة من الاستعمار وباسم الجمهورية الفرنسية يعاني 30 مليون من عبودية منحطة، إن وطننا هو المغرب العربي ونحن مخلصون له حتّى الموت، وإذا كانت إرادتنا في الجيش أحرار تعدّ معاناة لفرنسا فنحن معادون لفرنسا، وسنكون كذلك للأبد"[3].

تعددت مظاهر تضامن الجزائريين مع إخوانهم السوريين بشكل لافت، وعلى هذا الأساس لم يبحث مصالي يركز على القضية الوطنية فقط بل على البعد العربي من خلال طرح الوحدة بين المصريين والسوريين، وخلال سنة 1936 تطورت حركة الاحتجاج في بلدان المغرب العربي إلى التضامن مع سوريا التي كانت مصرّة على[4] طرح استقلالها، وقد تجسدت مظاهر ذلك التضامن في فتح جريدة الأمة أعمدتها للحديث عن القضية السورية، كما نظم نجم شمال إفريقيا رفقة الجامعة المناهضة الإمبريالية والجامعة السورية لحقوق الإنسان تجمعا احتجاجيا يوم 7 فبراير 1936[5].

وبدعوة من شكيب أرسلان شارك مصالي الحاج في كل المحادثات التي دارت بين جزء من الوحد السوري المكلف بالتفاوض مع السلطات الفرنسية، الذي جاء إلى جنيف في شهر أفريل ولقى أعضاء اللجنة السورية الفلسطينية بما في ذلك رئيس الوزراء السوري الأتاسي، ووزير الداخلية الجابري[6].

1- أمحمد مالكي، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1993، ص 94.

2- محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية، ج1، تر: امحمد البار، دار الأمة، الجزائر، 2011، ص 248.

3- محمود العايب، مؤتمر طنجة المغربي دراسة تحليلية تقييمية، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2010، ص 32.

4- مصالي الحاج، المصدر السابق، ص 188.

5- محفوظ قداش، تاريخ الحركة... ،المصدر السابق، ص 189.

6- المصدر نفسه، ص 180.

كان لثورة الريف صدى على المستوى النخبوي أو الشعبي في البلدان المغاربية خاصة بعد الانتصارات التي حققها عبد الكريم الخطابي، فيشير مصالي أن المغاربة بين سنتي 1920-1921، عاشا أحداث حار وقد تمثل في الإلحاق بالقوات الإسبانية هزيمة مدوية، ويضيف أن هذا الانتصار قد أدهش العالم كله وارتجفت له أوروبا والمسيحية، وولد تشجيعا لكل الشعوب الإسلامية المضطهدة[1].

2. موقف عبد العزيز الثعالبي من القضايا العربية:

يعود اهتمام الثعالبي بالقضايا العربية والإسلامية إلى الروابط التاريخية والحضارية التي اعتمد عليها في رسم فكرة ومرجعية حزبه الدستوري القديم الذي استشهد منه والقائم بشكل أساسي على العروبة والإسلام[2].

فدعم الشعوب العربية والإسلامية في مصر وسوريا وغيرهما، ودعمها بقلمه وصحافته وحزبه، ودافع عن حقوقها ضد التوسع الاستعماري الأوروبي، ولكن قضية فلسطين كانت محور هذا الاهتمام في البداية، كان اهتمام الحركة الوطنية التونسية بالقضية الفلسطينية بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى وقيام الانتداب البريطاني على فلسطين محدودا لاعتبارات عدة منها:

_ ارتباك مفاهيم النخبة السياسية التونسية، التي لم تفهم بالكامل طبيعة الحركة الصهيونية وأهدافها، ولا طبيعة الصراع على أرض فلسطين.

_ ركود الحركة الوطنية الفلسطينية وعدم قدرتها على التعبير عن نفسها.

_ دور مؤسسات الحماية الفرنسية بتونس في عرقلة تفاعل التونسيين مع الأحداث الفلسطينية خاصة بعد تحول الانتدابين الفرنسي والبريطاني في الشرق العربي إلى استعمار متحالف مع الحركة الصهيونية ،وتصاعد المقاومة الوطنية في كل من العراق وسوريا من جهة، ومن جهة أخرى تجنيس اليهود التونسيين بالجنسية الفرنسية، حيث كانت الأولى عام1909، والثانية عام1923، والتي كشفت عن فشل يهود تونس في التجاوب مع دعوة النخبة التونسية للنضال معا من أجل تطوير التشريع التونسي، باعتبار أن اليهود أفرادا تونسيون .

كما أنه يعكس حدود انتماء اليهود لتونس وانحيازهم للمحمية الاستعمارية ووقوفهم إلى جانبها دون التخلي عن حلم العودة إلى الوطن أرض الميعاد[3]، بالإضافة إلى ذلك، ازداد النشاط الصهيوني في تونس

1_ مصالي الحاج، المصدر السابق، ص 100.

2_ محمد السعيد عقيب: المرجع السابق، ص338.

3_ عبد اللطيف الحناشي: الشيخ عبد العزيز الثعالبي والقضية الفلسطينية (1923-1944) جامعة منوبة، تونس، د س، ص2-3.

منذ أواخر العشرينات وتضاعف خلال الثلاثينيات، مثل جميع أموال الفوائد اليهود الصهاينة في فلسطين، واليهود التونسيون يتجاوبون مع ما يحدث في فلسطين، مثل رفع الأعلام الصهيونية والاحتفال بالأحداث المتعلقة بالصهيونية، وتشجيع اليهود التونسيين الهجرة إلى فلسطين.

والزيارات التي قام بها بعض الدعاية الصهاينة إلى تونس، والمناقشات التي دارت بينهم وبين بعض المثقفين والسياسيين حول طبيعة وأهداف المشروع ،مما أتاح لبعض أعضاء النخبة السياسية التونسية فهم جوهر وواقع الحركة الصهيونية[1].

اعتبر الحزب الدستوري القديم "قضية فلسطين قضية بين جميع المسلمين الذين لهم مقدساتهم في فلسطين، والتي تتضمن في حرمتها الوصاية على تلك المقدسات والحفاظ على هذا الوطن من أبنائه المسلمين، وعربي خاص، يسبب ذلك القلق بالدرجة الاولى للأمة العربية الصاعدة التي تتسوق إلى احتلال مكانتها التاريخية في العالم". ومن هذا المنطلق كان الشيخ الثعالبي من أبرز الشخصيات الوطنية التونسية التي أولت القضية الفلسطينية اهتماما كبيرا بل وشاركت في أحداثها، ويرجع ذلك إلى توجهه العربي الاسلامي، وإلى مكانة فلسطين الثقافية والدينية ،وإلى العلاقات التي تربطه بالشيخ الأمين الحسيني مغني فلسطين، منذ انعقاد المؤتمر الأول في القدس[2].

فبعد أن غادر عبد العزيز الثعالبي تونس عام 1923 زار بلاد الشام ،واستطاع أن يوثق علاقته مع مختلف المحبين العرب ،فشكل بذلك صلة وصل بينها وبين نظيرتها التونسية ،وقد ساهم هذا التفاعل عبر الصحف والمراسلات والكتب في فضح فكرة الصهيونية وطبيعة صراعها مع العرب، خاصة بعد أحداث البراق[3] عام 1929[4].

مع ازدياد الخطر الصهيوني الذي يهدد الأمة العربية والإسلامية، أصبحت الحاجة ملحة لدراسة الوضع، لذلك انعقد المؤتمر الاسلامي في القدس الشريف في ديسمبر 1931[5]، والذي جاء يهدف دراسة أمور المسلمين بشكل عام والدفاع عن الاسلام وعروبة القدس، مع تزايد التهديدات الصهيونية لها، وتهيئة الوسائل لذلك وحماية الدين الإسلامي، وإعطاء القضية الفلسطينية أبعادا اسلامية عالمية، وتزامن

2_ عبد اللطيف الحناشي: المرجع السابق، ص4.

2_ محمد السعيد عقيب: المرجع السابق، ص281-382.

3_ حادثة البراق: عام 1929 أول ثورة شعبية كبرى ضد المشروع الصهيوني في فلسطين وكان لها أثي كبير شهدت ظهور العلم الفلسطيني حيث اقترحت صحيفة "فلسطين" بضرورة اتخاذ علم والمطالبة بنشيد وطني، ينظر: علي سعادة، كيف شكلت "ثورة البراق" الوعي العربي والفلسطيني؟,14 أوت 2020 على الساعة 04:01.

4_ عبد اللطيف الحناشي: الشيخ عبد العزيز الثعالبي، المرجع السابق، ص5.

5_ يوسف مناصرية: الحزب الحر الدستوري، المرجع السابق ،ص262 .

عقدها من تنامي حركة الهجرة اليهودية إلى فلسطين والنشاط الصهيوني في العالم، وتطور علاقتها بسلطة الانتداب وعدم قدرة الحركة الوطنية الفلسطينية على مواجهة هذا التحالف وحدها[1].

وكان للثعالبي دور فعال في المؤتمر من خلال مساعدته للحاج أمين الحسيني[2] في تنظيم وتحضير المؤتمر الذي تناول قضايا العالم الإسلامي وركز على إنشاء الجامعات الإسلامية ونشر الدعوة الإسلامية ومحاربة الإمبريالية. فكلف بمهمة رئاسة اللجنة التحضيرية للمؤتمر وأعد التقرير العام باسم المكتب الدائم للمؤتمر. كما بذلك جهودا لإقناع مؤسسة الأزهر ورئيس الحكومة المصرية بالموافقة على حضور المؤتمر والتخلي عن الشروط التي حددتها للمشاركة فيه، ووقف الحملات الدعائية ضده، كما قام بتحرير تقريرين بأمر من الشيخ أمين الحسيني، أحدهما يتعلق بإنشاء الجامعة الإسلامية وأهدافها وكيفية إدارتها ،وأخرى تتعلق بموضوع الداعم البربري[3]، وحث الثعالبي خلال مداخلاته في المؤتمر على ضرورة إرسال بعثات علماء المسلمين إلى الدول الإسلامية للدعوة إلى الإسلام، وغرس روح الإيمان في جامعاتها وأخيرا أقر المؤتمر قانون المؤامرة الدستوري الذي تضمن 17 فقرة كأنها أهمها تحديد إنشاء منظمة اسلامية عالمية تتكون من هيئة تنفيذية دائمة مكونة من 25 عضوا، وتم اختيار الثعالبي ككاتب عام لها مع عدد من الشخصيات الإسلامية الأخرى[4] لم يقتصر دور الثعالبي في القضية الفلسطينية على المشاركة في المؤتمر فحسب بل تجازه ،فبعد المؤتمر كلفه الجاج أمين الحسيني بمهمة الدعاية للقضية الفلسطينية ،وبعد انتفاضه عام 1936 كلفه بجمع التبرعات من الدول الإسلامية لصالح الشعب الفلسطيني ،لذلك أوعز إلى بعض أتباعه خلاص نفس الانتفاضة، إنشاء لجان وطنية تسعى لدعم فلسطين بما في ذلك لجنة إغاثة ضحايا فلسطين التي تأسست في ماي 1936 برئاسة أحمد بن ميلاد، ثم لجنة اسعاف فلسطين برئاسة محمد العيد الجعبري ولجنة الدفاع عن فلسطين أسسها عدد من المثقفين والصحفيين لتوحيد هذه اللجان بعد ذلك، كانت الثلاثة في إطار لجنة واحدة حملت إسم "لجنة إغاثة فلسطين" برئاسة الدكتور

1_ عبد اللطيف الحناشي، المرجع السابق،ص7-8.

2_ الحاج أمين الحسيني: هو محمد أمين بن طاهر بن مصطفى الحسيني ولد عام 1897 في مدينة القدس وهو زعيم الحركة الوطنية أثناء احتلال بريطانيا لفلسطين ،ورئيس اللجنة العربية العليا(1946-1936)، رئيس الهيئة العربية العليا (1974-1946) ،مفتشي القدس الأكبر منذ عام 1921، وتوفي عام 1947 ينظر: محمد شعبان أيوب، أمين الحسيني حين تعاون مفتشي القدس مع هتلر وموسو ليني، الرابط: https://www.aljazeera.net/midan/intellect/history/2019/3/5/%D8%A3%D9%85%D9%8A% ، 08:56، 2022/05/16.

3_ عبد اللطيف الحناشي، المرجع السابق، ص13.

4_ يوسف مناصرية: الحزب الحر الدستوري، المرجع السابق، ص263.

أحمد بن ميلاد، والتي نشطت في جمع التبرعات للفلسطينيين والتعريف بقضيتهم وشرعيتها ودعوة التونسيين لمناصرة إخوانهم[1].

قبل الحرب العالمية الثانية ورغم الظروف الصعبة التي عاشها عبد العزيز الثعالبي بعد دعوته إلى تونس عام 1937، إلا أن ذلك لم يمنعه من مواصلة دعمه للقضية الفلسطينية، فوجه كتابا أطلق عليه "الكتاب المفتوح". إلى رئيس الوزراء شم برلين دعا فيه إلى تغيير سياسة بريطانيا تجاه العرب وانصاف الفلسطينيين بإسم الديمقراطية ومنحهم حقوقهم المغتصبة، كما ندد بالكتاب الأبيض-الذي وصفه بالأسود- واعتبره مظلمة رديئة يتعذر تحقيقه ويتعارض مع حقوق الأمم والدول، وإنه ليس سوى مساعدة لليهود في اقامة وطن لهم في فلسطين، ومحاولة لتعطيل بناء الوحدة الوطنية للعرب، وفي الختام طمأنة ببعض الحقائق في تاريخ فلسطين وقدرتها على طرد الغزاة مهما طال الزمن، وأبرز له مطالب العرب وهي منح الحرية لفلسطين وحمايتها من الغزاة وخطر الصهيونية[2].

لقد كان نظر الثعالبي في قضية فلسطين أنها مسألة حق وهوية وتحرير من السيطرة البريطانية أولا ومن ادعاءات اليهود في استحقاقهم لها ومن خطر الحركة الصهيونية التي سرعان ما شددت قبضتها على البلاد، خاصة مع تشجيعها لعمليات الاستيطان ليهود العالم فيها ثانيا، ودعا في كل مرة إلى ضرورة الوحيد الجهود العربية والإسلامية لدعم الفلسطينيين واستعادة مقدسات الأمة[3].

1_ عبد اللطيف الحناشي، المرجع السابق، ص13-14.

2_ عبد اللطيف الحناشي، المرجع السابق، ص 15-17.

3_ كوثر هاشم، المرجع السابق، ص277.

خلاصة الفصل:

-كان لتنشئة مصالي الحاج اثر عميق في تكوين شخصيته، جعلت منه شخصية فذة صقلتها الظروف القاسية لأنه نشأ في أسرة فقيرة جعلته يعتمد على نفسه في التكوين ليهاجر بعد ذلك الى فرنسا، فبدأ وعيه الحسي ونضاله منذ صغره.

تجلى برنامجه السياسي في مؤتمر بروكسل المناهض للاستعمار وذكر فيه مصالي ولأول مرة " استقلال الجزائر" علانية وبكل جرأة وكانت هذه الفكرة التي اعتمدها طول فترة كفاحه.

على الرغم من كل العراقيل التي زرعها المحتل له ولنضاله السياسي وهو غرس بذور الفكر الاستقلالي بالجزائر، إلا انه تحدى كل ذلك، فعمل على تطوير حزبه واستمراريته من 1926 ليصبح حزب الشعب الجزائري سنة 1937 ليتطور على شكل حركة انتصار الحريات الديمقراطية

-عبد العزيز الثعالبي من رواد الاصلاح في تونس، كان من أعيان مسجد الزيتونة ، انخرط في القضايا السياسية فهو لم يكن رجل وزعيم سياسي فقط بل كان مصلحا اجتماعيا ودينيا، تأثر بفكر محمد عبده وجمال الدين الافغاني ، وتمكن من رؤية افكارهم عندما اقام في مصر بعد يوم من نفيه من قبل السلطات الفرنسية من تونس.

نبه عبد العزيز الثعالبي الشعب بألاعيب المستعمر وفضحه في مؤلفاته ومؤتمراته، فهو أول من نادى بتوحيد الأمة الإسلامية. ولقد كان الزعيم عبد العزيز الثعالبي داعيا دينيا ومصلحا اجتماعيا قبل ان يكون زعيما سياسيا.

خاتمة

خاتمة:

لقد حاولنا قدر الإمكان خلال المدة التي استغرقها هذا البحث أن نحيط بجميع جوانب الدراسة التي ألزمنا البحث فيها، فتطرقنا إلى الفكر الوطني لدى النخبة المثقفة في الجزائر وتونس ممثلة في شخصية كل من مصالي الحاج وعبد العزيز الثعالبي، وأثره في تكوينهما الذي أوصلهم إلى مصاف الزعماء. كما أشرنا إلى الظروف التي واكبت ظهور هذه النخب السياسية والأحداث التي عاصروها وجعلتهم فاعلين في مجتمعهم ومواجهين لأفكاره وطروحاته المناهضة للاحتلال والمطالبة بالحرية والساعية إلى النهضة.

ولم نغفل بطبيعة الحال التعريف بكلا الرجلين وبأوجه الاختلاف والتقارب بينهما. مع ذكر أهم المواقف والآراء التي اشتهرا بها .

وفي الأخير توصلنا الى مجموعة من النتائج نوردها كما يلي:

- ساهمت عوامل عديدة في ظهور نخب سياسية في كل من الجزائر وتونس. لعل أبرزها السياسة الاستعمارية الفرنسية بقوانينها المجحفة في حق الجزائريين وكذلك فرض الحماية على تونس 1881، كما ساعدت الظروف الخارجية في التأثير على مشروع النهضة الفكرية كالهجرة نحو المشرق وأوروبا، و فكرة الجامعة الاسلامية وتيارها الاصلاحي بقيادة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده.
- إن نضال هاته النخب السياسية كان سببه الرئيسي التخلف الكبير الذي يعاني منه كل من المجتمع الجزائري والتونسي نتيجة سياسة الاحتلال العنصرية المسلطة عليهما.
- كان لعامل الوسط العائلي الملتزم والدراسة بالزاوية أكبر الأثر في نشأة كل من مصالي الحاج وعبد العزيز الثعالبي وكذلك في تكوين شخصيتهما الاسلامية. بالإضافة إلى اشتراكهما في المعاناة نفسها في كلا البلدين مما شكل دافعا قويا لإبراز نضالهما السياسي السلمي من أجل تحقيق الاستقلال والطموح للوحدة العربية تحت عباءة الجامعة الإسلامية.
- نهل مصالي الحاج من نبع الزاوية الدرقاوية فكان تكوينه السياسي والديني متشبعا منها، بالرغم من التحاقه بالمدرسة الفرنسية لفترة قصيرة. أما الثعالبي الذي تكون بجامع الزيتونة والمدرسة الخلدونية فقد تأثر بفكر جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده.
- نادى مصالي الحاج بالاستقلال التام والقطعي عن فرنسا، بعد أن أسس حزب نجم شمال إفريقيا وقدم مطالبه العلانية والجريئة وزادت شعبيته بعد أن نقل حزبه من المهجر إلى الجزائر تحت مسى "حزب الشعب". بينما ناضل عبد العزيز الثعالبي في إطار الحركة الوطنية التونسية بعد أن أسس

حزب "الدستور التونسي" في بلده، وحاول ربط نشاطه بحركة النهضة العربية للعمل على إنتشاره ولإسماع صوت المغرب العربي عامة وتونس خاصة في خارج البلاد.

- استحق مصالي الحاج لقب أب الحركة الوطنية بعد أن ساهم في تأسيس العديد من الأحزاب السياسية التي ناضلت من أجل حرية الجزائر، كما اعتبر الثعالبي الأب الروحي للنزعة التحررية في العالم العربي وعلى رأسها القضية الفلسطينية. بفضل شخصيته الكارزماتية وتشبعه بالفكر الاسلامي الذي يأبى الذل والخنوع للمحتل طالب الثعالبي بحق الشعب التونسي في تقرير مصيره، وانتقل إلى باريس من أجل التعريف بالقضية التونسية وألّف كتابه "تونس الشهيدة" الذي أثار جدالا واسعا في تونس وفرنسا. ونادى مصالي الحاج بحق الشعب الجزائري كذلك في تقرير مصيره وتمكينه من لغته العربية، كما دافع على مصالح شال إفريقيا.
- تلقى كل من مصالي الحاج والثعالبي تأييدا شعبيا كبيرا و تقبلا لأفكارهما النهضوية الاستقلالية ودعم من النخب السياسية في الداخل والخارج.
- اتهمت الأوساط الاستعمارية والجهات الداعمة لها كلا الزعيمين بتهم باطلة للتشكيك في وطنيتهما ومبادئهما السامية. وسلط عليهما الاحتلال القمعي والاضطهاد والاعتقال والنفي والتعذيب، كما قام بحل أحزابهم ومصادرة صحفهم.
- بالرغم من مقاومتهما للاحتلال وغرسهما لروح المقاومة والحرية والنهضة في النفوس الأبية. إلا أنهما لم ينعما بقيادة تيار الاستقلال بعد تخلف مصالي الحاج عن اللحاق بركب ثورة التحرير وفقدان الثعالبي لشعبيته السياسية في أواخر حياته بعد تعرضه للمرض والعجز ووفاته سنة 1944.
- نجحت الثورة المسلحة وكللت بالغاية الكبرى وهي الاستقلال بفضل الكفاح الفكري والمقاوم الذي رسخته النخبة المثقفة ومهدت به لاندلاعها.

ملاحق

الملحق رقم (01): صورة لمصالي الحاج.[1]

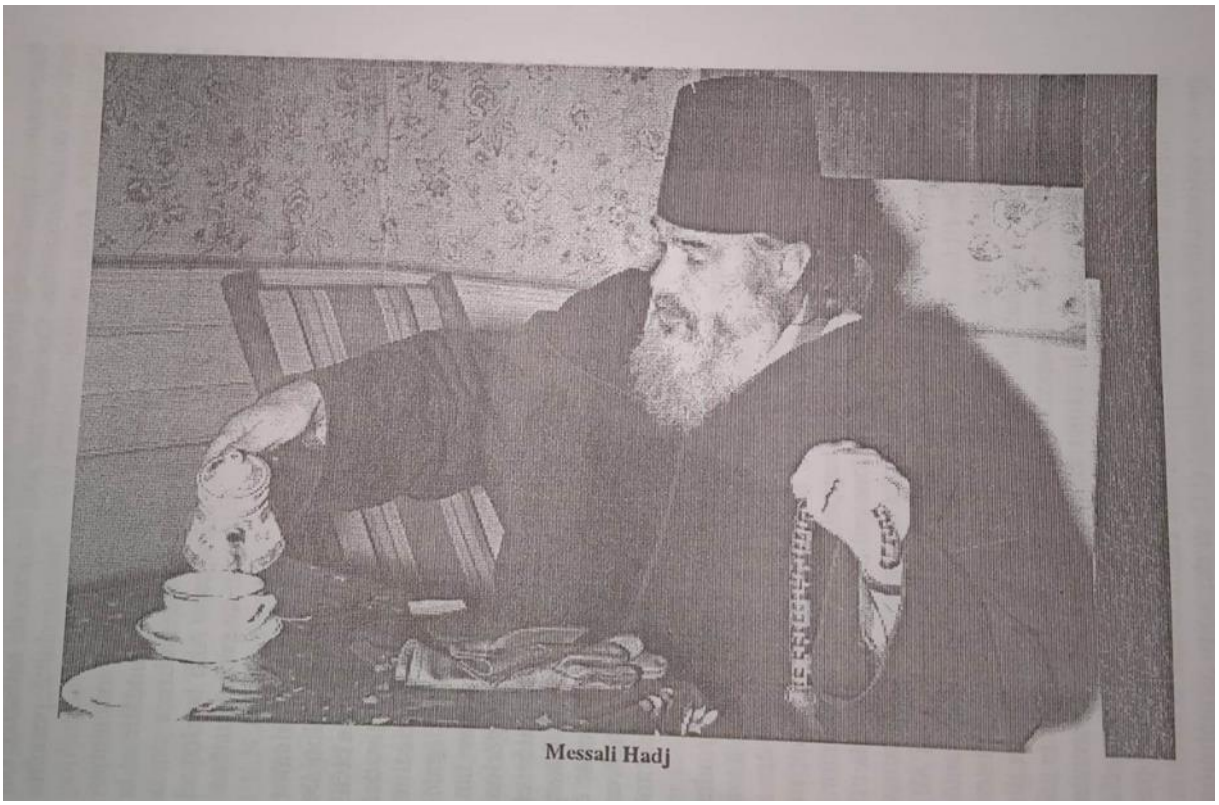

1 _ Kamel Bouguessa, Aux Sources Du Nationalisme Algérien, casbah Ed, Alger, 2006, p 301.

الملحق رقم (02): جريدة حزب الشعب.[1]

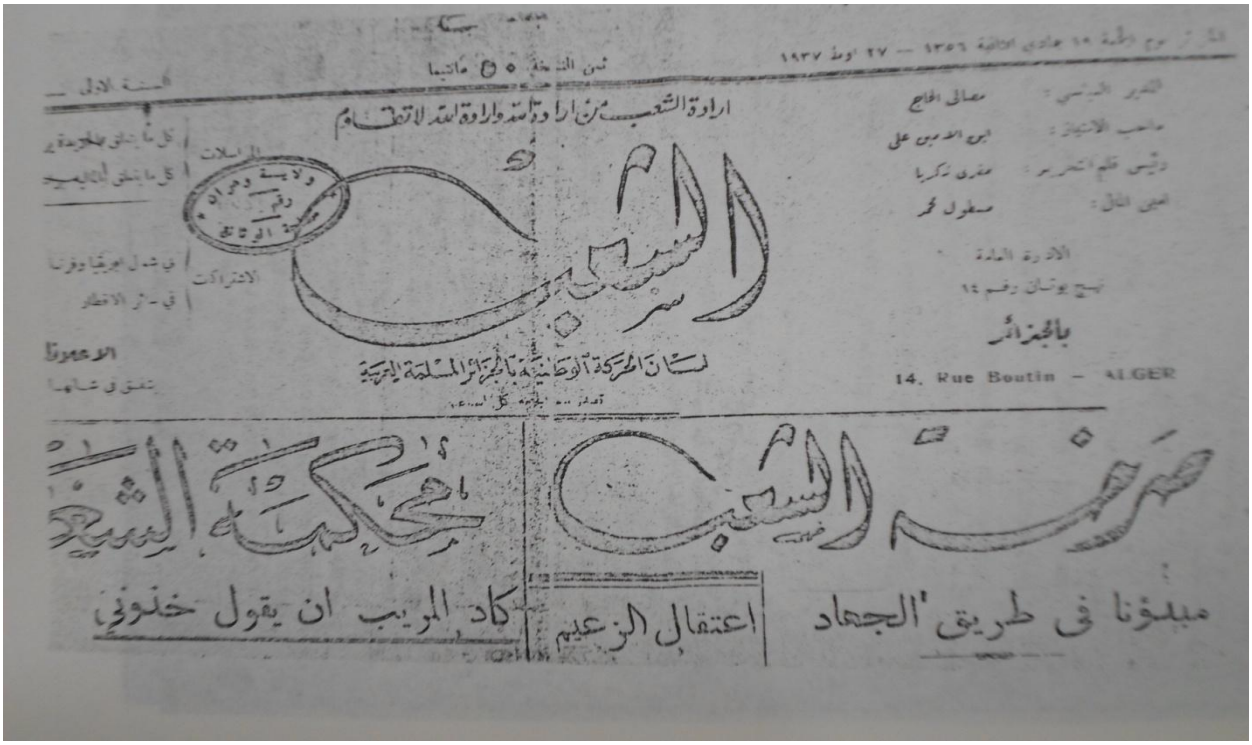

1_ أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري، المرجع السابق، ص، 322.

الملحق رقم(03): جريدة الأمة.[1]

EL-OUMA

ORGANE NATIONAL DE DEFENSE DES INTÉRÊTS DES MUSULMANS ALGÉRIENS, TUNISIENS ET MARocains

جريدة وطنية سياسية للدفاع عن حقوق مسلمي افريقيا الشمالية

- Quel peut-être l'idéal d'un homme qui s'est moralement séparé de son peuple ?
- Ainsi la branche flétrie lorsqu'elle s'est détachée du tronc nourricier !

Nous prions nos abonnés, qui ne reçoivent pas régulièrement leur journal, de rappeler leurs adresses et leurs dates d'a bonnement à la Rédaction

Un Congrès Eucharistique va se tenir dans Alger, ville de l'Islam, pendant que le décret du 8 mars baillonne la langue arabe

N'est-ce pas là une provocation ?

La détaite des guignols de la politique algérienne

Le P.P.A. en deuil

Au Peuple Musulman d'Algérie !

Kehal Azezki est mort au champ d'honneur pour l'Algérie

La radio-diffusion et les rivalités impérialistes franco-italiennes

1_ عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص، 107.

الملحق رقم(05): صورة عبد العزيز الثعالبي.[1]

الشيخ عبد العزيز الثعـــالبـي
مؤسس الحزب الحـر الدستوري التـونســي
(1920)

1_ أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 501.

الملحق رقم(06): ديباجة جريدة "سبيل الرشاد" صاحب امتيازها ومديرها السياسي (عبد العزيز الثعالبي)[1]

عـــدد ٨ | ثمن النسخة ١٠ سانتيمات | السنة الاولى

صاحب امتيازها ومديرها السياسي محمد عبد العزيز الثعالبي

ABONNEMENTS
Un an. . . . . 8 fr.
Six mois . . . . . 5 »
Trois mois. 2 50

Toute correspondance devra être adressée à l'Administration du Journal, rue Es-Sadikia, 14. — TUNIS.

جميع المكاتبات يجب ان تكون خالصة الاجرة باسم ادارة «سبيل الرشاد» نهج الصادقية عدد ١٤ بتونس

Adresse Télégraphique:
MOHAMED ABD EL AHZIZ ETHALB
العنوان التلغرافي الثعالبي

لا ترد الرسائل ادرجت ام لم تدرج

قيمة الاشتراك تدفع سلفا في تونس وماحقاتها

عن سنة ..... ٨ فرنكا
عن ستة اشهر ..... ٥ »

خارج المملكة

عن سنة ..... ١٠ فرنكا
عن ستة اشهر ..... ٥ »

اجرة سطر الاعلان ٥٠ سانتيما في الثالثة و٢٥ سانتيما في الرابعة

الارشيف الوطني التونسي

سبيل الرشاد

Sabil Er-Rachad

Journal Scientifique, Politique et Historique

جريدة أسبوعية علمية أدبية سياسية تاريخية

يوم الاحد ١ شوال المبارك سنة ١٣١٣ | Direct. et Rédact. en Chef : MOHAMED ABD EL AHZIZ ETHALBI | الموافق ٢٢ مارس سنة ١٨٩٦

تهنئة العالم الاسلامي بعيد الفطر المبارك

المجيد · والحق المشهود · والعدل المنشود · التيمم العالم على كليمة الوجود · فخر الملة والدين · وخليفة رسول رب العالمين · قرة عين الزمان · وفخر مجموعة الكيان · معدن الكرم والاحسان · السلطان ابن السلطان · مولانا السلطان · الغازي في سبيل الله عبد الحميد خان · ادام الله جلالته بعين عنايتك محفوفا · وياسمك

والسلين الاول عزيزا شهما فاخرا
ومن اصادقهم فيه المسرورات
«سبيل الرشاد»

خبث الجزويت

الجزويت وما ادراك ما الجزويت هم في اوروبا اعز من الكبريت قوم تحالفوا على الضلال وتعاهدو

1_ عبد العزيز الثعالبي، من آثاره وأخباره، المصدر السابق، ص 26

الملحق رقم (06): نعي عبد العزيز الثعالبي في جريدة "الزهرة".[1]

عبقري يسقط في الميدان

امس الاحد على الساعة العاشرة صباحا انطفأ مشعل وقاد من مشاعل المعرفة والنبوغ وانهد ركن لا يعوض من اركان البراعة والاقتدار وخفت صوت رنان من اصوات البلاغة الذهبية واللسانية كان دويه يتجاوب في مختلف القارات وكان في جميعها محل التقدير والاعجاب ألا وهو الاستاذ الجليل والمؤرخ الضليع والكاتب الكبير والخطيب المصقع الشيخ عبد العزيز الثعالبي برد الله ثراه وجعل الجنة متقلبه ومثواه

لقد اغتاله المنون اثر مرض الزمه الفراش منذ بضع سنين لكنه لم يحرم مريديه من الانتفاع بسلسبيل علمه الفياض وتجربته النادرة ونتائج مشاهداته وسياحاته في الشرق والغرب فكان منزله عبارة عن ناد حافل باهل العلم ورواد المعرفة يأتونه من كل فج عميق تطلبا للاستنارة وسعيا وراء تشحيذ القرائح بما فيه نفع الجمهور وما فيه تنويه بسالف مجدنا واستثارة لدفائن ماضينا الحافل بالمفاخر وما فيه تبصرة وذكرى للاجيال الحاضرة في السير على سنن السلف المجيد وفي اقتفاء أثره في الفضائل والكمالات ومحامد الصفات . وكان رحمه الله من أشد الناس إيمانا بالفضل الشاذر وضم الاواصر شديد الغيرة على بلاده حريصا على رفع مستواها من جميع وجوهه عاملا طول حياته على ايقاظ الهمم وحث العزائم في سبيل الخير والنفع العام لم يفارقه حنينه لهذا الوطن حتى في أوقات ابتعاده عنه السنين الطوال فكان سواء في الشرق أو في الغرب يقبل الوافدين من تونس ويجتهم بوجاهته على قضاء حاجاتهم ويسهل عليهم وسائل إقامتهم في بلاد الغربة وكان متحليا بدماثة الاخلاق ولين العريكة شديدا في الحق حتى ادركته المنية وهو ثابت المنز محاطا باحترام مواطنيه وفي عشية الامس احتفل بتشييع جنازته من داره الكائنة بنهج الشوك في موكب حافل شاركت فيه سائر طبقات البلاد رحمه الله رحمة واسعة ورزق أهله وذويه ومقدري فضله نعمة الصبر والسلوى .

الارشيف الوطني التونسي

نعي الثعالبي في جريدة (الزهرة)

1_ عبد العزيز الثعالبي، من اثاره وأخباره ، المصدر السابق، ص23

الملحق رقم(07): جانب من الوفد الدستوري الثاني الذي قابل المقيم العام لوسيان في 21 جانفي 1921.[1]

جـانب من الوفد الدستوري الثاني الذي قابل المقيم العام
لوسيان سان Lucien Saint في 21 جانفي 1921

1_ خليفة الشاطر آخرون، المرجع السابق، ص .88

الملحق رقم(08): العدد الأول من جريدة التونسي باللغة الفرنسية.[1]

Le Tunisien

ORGANE DES INTERÊTS INDIGÈNES

ALI BACH HAMBA

ADMINISTRATION & RÉDACTION

TUNIS

العدد الاول من جريدة «Le Tunisien»

1_ خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 70.

الملحق رقم(09): الغلاف الخارجي لـ" تونس الشهيدة" في نسختها الاصلية باللغة الفرنسية.[1]

الغلاف الخارجي لـ "تونس الشهيدة"
في نسختها الأصلية باللّغة الفرنسيّة

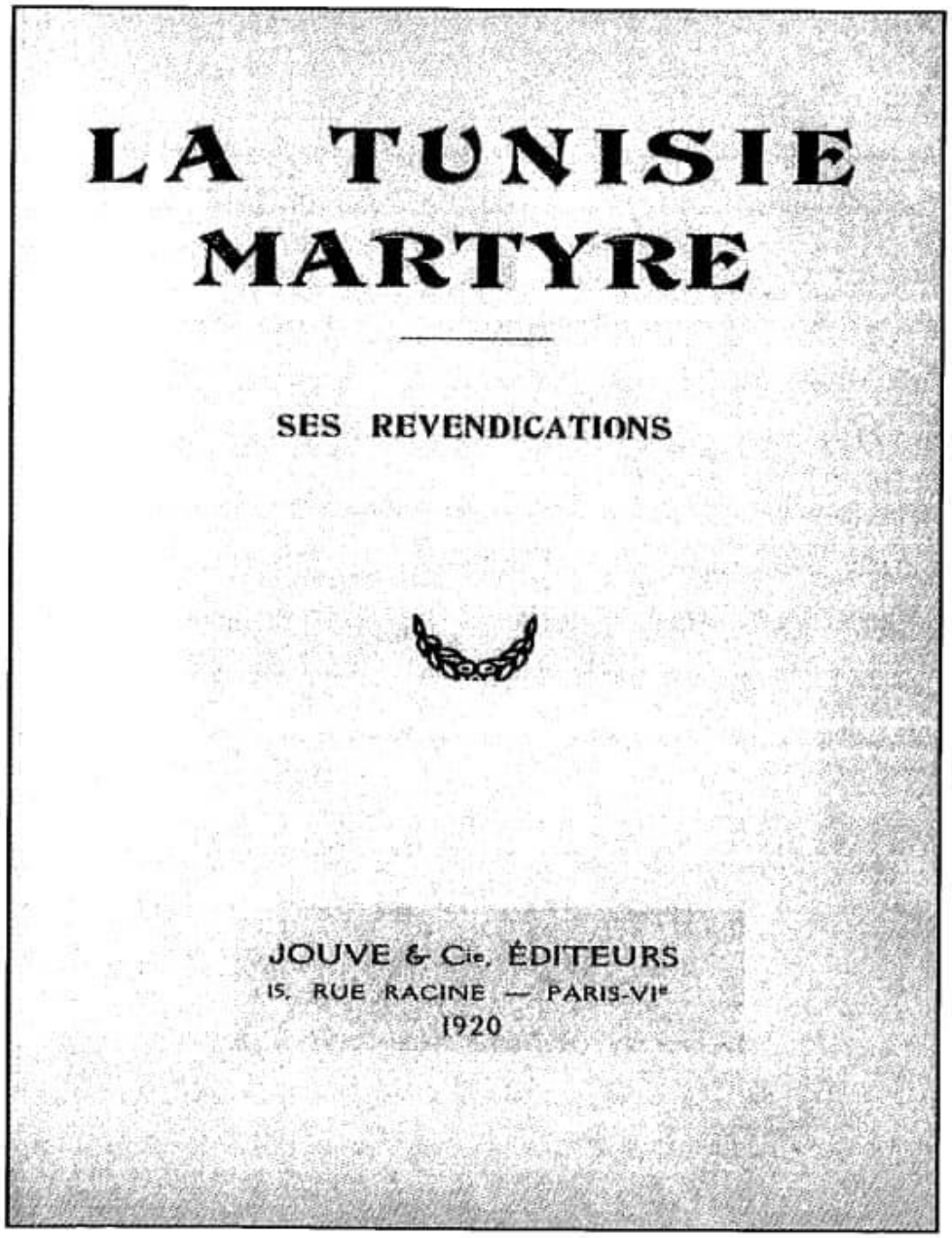

1_ عبد المجيد كريم، المرجع السابق، ص .64

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

أولا- المصادر باللغة العربية:

1) أحمد توفيق المدني، مذكرات حياة كفاح، ج 1، دار البصائر، الجزائر، 2008.
2) أحمد محساس، الحركة الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، تر: محمد عباس، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003.
3) بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، تر: مسعود حاج مسعود، ط 2، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
4) بنيامين سطورا، مصالي الحاج رائد الحركة الوطنية 1989- 1974، تر: الصادق عماري ومصطفى ماضي، دار القصبة، الجزائر، 2002.
5) تامر الحبيب، هذه تونس، د ط، مطبعة الرسالة، مكتب المغرب العربي، د.س.
6) شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976.
7) صالح الخرفي، عبد العزيز الثعالبي من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.
8) عباس فرحات، ليل الاستعمار، تر: أبو بكر النحال، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009.
9) عبد الرحمان بن ابراهيم بن العقون، الكفاح القومي السياسي من خلال مذكرات معاصر فترة ما بين 1920-1936، ج1، منشورات السائحي، ط3، الجزائر، 2010.
10) عبد العزيز الثعالبي، الرحلة اليمنية (12 أغسطس، 17 أكتوبر 1924)، تق وتح: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
11) " " " "، الرسالة المحمدية من نزول الوحي إلى وفاته صلى الله عليه وسلم، تح: صالح الخرفي، دار ابن كثير، بيروت، د.س.
12) " " " "، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، تح: أحمد بن ميلاد، تق: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
13) " " " "، تونس الشهيدة، تر وتق: سامي الجندي، دار القدس، لبنان، 1975.
14) " " " "، سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية (132هـ، 750م)، تق وتح: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.

15) " " " "، مقالات في التاريخ القديم، تع: جلول الجريدي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.
16) " " " "، محاضرات في التفكير الاسلامي في الفلسفة (1876_ 1944)، تق: حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1999.
17) علال الفاسي، حركات الاستقلال في المغرب العربي، لجنة الثقافة الوطنية لحزب الاستقلال، المغرب، د س.
18) علي البهلوان، تونس الثائرة، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017.
19) علي كافي، مذكرات من المناضل السياسي إلى القائد العسكري، 1940_1962، دار القصبة للنشر، الجزائر، 1999.
20) لخضر بورقعة، شاهد على اغتيال الثورة، ط 2، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، 8 ماي 2000.
21) محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية، ج1، تر: امحمد بن البار، دار الأمة، الجزائر، 2011.
22) " " " "، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830-1954، تر: محمد المعراجي، الأكاديمية الجزائرية للمصادر التاريخية، الجزائر، 2008.
23) محمد حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، تر: كميل قيصر داغر، ط1، دار الكلمة، بيروت، لبنان، 1983.
24) محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1929-1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
25) " " " "، المسيرة الوطنية وأحداث 8 ماي 1945، منشورات دحلب، الجزائر، 2000.
26) " " " "، ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
27) محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج 1، دار الغرب الإسلامي، ط 2، بيروت، 1994.
28) مصالي الحاج، مذكرات مصالي الحاج 1898-1938، تر: محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007.

ثانيا- المصادر باللغة الأجنبية:

1) Benjamin Stora, Les Mémoires de Messali Hadj, Revu de l'occident musulman et de la méditerranée, N°36 , 1983.
2) " " " " , Messali Hadj(1898 -1974),Ed Le harmattan, Paris, 1982.

ثالثا- المراجع باللغة العربية:

1) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 1900-1930، ج 2، ط 4، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992.

2) أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه السياسي والاجتماعي، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

3) أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر (1881_ 1956)، تح: حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986.

4) أحمد خالد، الزعيم عبد العزيز الثعالبي وإشكالية فكره السياسي، الدار العربية للكتاب، تونس، 2001.

5) إدريس خضير، البحث في تاريخ الجزائر الحديث (1832-1962)، ج 1، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006.

6) إسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج 2، دار المريخ للنشر، الرياض، 1993.

7) إسماعيل الحسني، نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، 1995.

8) آسيا تميم، الشخصيات الجزائرية 100 شخصية، دار المسك للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

9) أمحمد مالكي، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1993.

10) الأمين شريط، التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية 1939-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998.

11) أنور الجندي، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، ط 2، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1983.

12) أيسر فائق الحسني الآلوسي، مدخل لدراسة الفكر الإسلامي، قسم العقيدة والدعوة والفكر، جامعة الأنبار، رمادي، د س.

13) بسام العسلي، نهج الثورة الجزائرية، الصراع السياسي، دار النفائس، بيروت، 1986.

14) بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر من 1830-1989، ج 1، دار المعرفة، الجزائر، 2006.

15) جلال يحيى، المغرب الكبير الفترة المعاصرة وحركات التحرير الاستقلال، ط 3، دار القومية للطباعة والنشر، الاسكندرية، 1966

16) جهاد الترباني، مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، تق: محمد بن عبد الملك الزغبي، دار التقوى، مصر، 2010.

17) حسن حسين عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، ط 3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، د.س.
18) حميد عبد القادر، دروب التاريخ مقالات في تاريخ الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.
19) حميد عميراوي، دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827_1840)، دار البعث، الجزائر، 1987.
20) خالفة معمري، عبان رمضان، تع: زينب زخروف، ط 2، منشورات تالة، الجزائر، 2008.
21) خليفة الشاطر وآخرون، تونس عبر التاريخ (الحركة الوطنية ودولة الاستقلال) ، ج 3، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005.
22) خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، 1900-1956، ج1، دار كرداده، ط 2، الجزائر، 2013.
23) ربيحة زيدان، جبهة التحرير الوطني، جذور الأزمة FLN، دار الهدى، الجزائر، 2002.
24) زهير الذوادي، الوطنية وهاجس التاريخ في فكر الشيخ عبد العزيز الثعالبي، دار نقوش عربية، تونس، 2014.
25) زهير حدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
26) صالح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب)، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط 6، 1993.
27) الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة، ط 2، دار المعارف، تونس، د.س.
28) عبد الحميد زوزو، الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين 1919/1914، دار الديوان للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
29) عبد العزيز الرشيد، تاريخ الكويت، ط م: يعقوب عبد العزيز الرشيد، مكتبة الحياة، لبنان، 1978.
30) عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 1999.
31) عبد الكريم عزيز، نضال شعب أبي، تونس (1881، 1956)، مركز النشر الجامعي، تونس، 2005.
32) عبد اللطيف الحناشي، الشيخ عبد العزيز الثعالبي والقضية الفلسطينية (1923-1944) جامعة منوبة، تونس، دس.
33) عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، 2014.
34) عبد المالك جويبة، أبطال وشهداء الثورة الجزائرية مصالي الحاج، ط 1، وزارة الثقافة، 2014.

35) عبد المجيد كريم وآخرون، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية (مقاربة) 1881_1964، جامعة منوبة، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 2008.

36) علي الزيدي، الزيتونة ودورها في حركة التحرير الوطنية التونسية، الحوار المتوسطي، جامعة صفاقس، تونس، 2017.

37) علي المحجوبي، الحركة الوطنية التونسية ما بين الحربين، مج 2، معهد التربية والتكوين المستمر، سلسلة التاريخ والجغرافيا، منشورات الجامعية التونسية، تونس، 1986.

38) " " "، جذور الحركة الوطنية التونسية (1904، 1934)، تح: عبد الحميد الشابي، بيت الحكمة، تونس، 1999.

39) عمار الطالبي، آثار ابن باديس (تفسير وشرح الأحاديث)، مج 1، الشركة الجزائرية، ط3، الجزائر، 1997.

40) عمار نجار، مصالي الحاج الزعيم المفترى عليه، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، 2010.

41) عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر العاصمة (1830-1962)، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014.

42) محفوظ قداش ومحمد قنانش، نجم شمال إفريقيا 1926-1937 وثائق وشهادات لدراسة التيار الوطني الجزائري، تر: أوذاينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2013.

43) محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية، 1830- 1954، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2004.

44) محمد الفاضل بن عاشور، أعلام الفكر وأركان النهضة في المغرب العربي، دار السلام، تونس، 2020.

45) محمد بوطيبي، دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية ما بين 1900- 1930، دار الهدى، الجزائر، 2012.

46) محمد علي داهش، المغرب العربي المعاصر (الاستمرارية والتغيير)، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2014.

47) محمود العايب، مؤتمر طنجة المغربي دراسة تحليلية تقييمية، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2010.

48) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، مج 14 (التاريخ المعاصر بلاد المغرب)، المكتب الإسلامي، ط 2، عمان 1996.

49) مزنة بنت مزعل عبد الله العيد، حماية الإسلام للعقل وأثره في تحقيق الأمن الفكري، تخصص اصول الفقه، قسم الدراسات الإسلامية، د ب، 1436هـ، 2015.

50) مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص 425.

51) ميرى بصري، أعلام الوطنية والقومية العربية، دار الحكمة، لندن، 1999.

52) ناهد إبراهيم دسوقي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2011.

53) هشام سوادي هاشم، تاريخ العرب الحديث (1516، 1918)، دار الفكر، عمان، 2009.

54) يحيى بوعزيز، الاتّجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوص (1912-1948)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.س.

55) " " " "، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية، 1954/1830، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

56) يوسف مناصرية، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين 1919-1939، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 19 نوفمبر 2012.

57) " " " "، دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين (1919-1934)، دار هومة، الجزائر، 2014.

رابعا- المراجع باللغة الفرنسية:

1) Kamel Bouguessa , Aux Sources Du Nationalisme Algérien, casbah Ed, Alger, 2006.

خامسا- الموسوعات:

1) أبوديه أيوب، موسوعة أعلام الفكر العربي الحديث والمعاصر، المكتبة الوطنية، ط 3، الأردن، 2018.

2) عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسة، ج 6، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د س.

سادسا- المعاجم:

1) ابن منظور، لسان العرب، ج 6، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص 2468.

2) الرازي(محمد بن أبي بكر بن عبد القادر)، مختار الصحاح، طبعة مدققة، مكتبة لبنان، بيروت، 1986.

سابعا- الدوريات:

1) أحمد غريسي وعبد الوهاب شلالي، النضال السياسي لدى عبد العزيز الثعالبي ومصالي الحاج، دراسة تاريخية مقارنة، المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية، مج 13، ع 1 جانفي 2021، س 13.

2) أحمد وادي، السياسة الاستعمارية الفرنسية وانعكاساتها على ثقافة المجتمع والأمن الهوياتي في الجزائر، مجلة الناقد للدراسات السياسية، ع 2، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2018.

3) أشرف محمد عبد الرحمان مؤنس، الشيخ عبد العزيز الثعالبي والنخبة السياسية والفكرية في مصر (1924_1931)، صحيفة الشورى، مج 55، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة، 2021.

4) أمينة علاق، نخبة أم نخب: قراءة في المفهوم، الأدوار والإشكاليات، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، ع 22، مارس 2017.

5) راضية بوراس، الشيخ عبد القادر المجاوي ودوره في الإصلاح، مجلة المعيار، مج 26، ع 69، كلية العلوم الإسلامية يوسف بن خدة، 2022.

6) عبد الصمد عصماني، محطات من حياة مصالي الحاج قبل اندلاع الثورة التحريرية (بين النشأة والمنفى)، مجلة مدارات للعلوم الانسانية والاجتماعية، ع 6، 2022.

7) عبد الله كبار، النخبة الجامعية والمجتمع المدني في الجزائر، قراءة سوسيولوجية في جدلية الواقع والممارسة، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، ع 11، الجزائر، جوان 2013.

8) كوثر هاشم، منهج الإصلاح في التربية والتعليم عند الشيخ عبد العزيز الثعالبي على ضوء جريدة الشورى المصرية، مجلة قيس للدراسات الانسانية والاجتماعية، مج 01، ع 02، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، ديسمبر 2017.

9) محمد السعيد عقيب وكوثر هاشم، الفكر التحرري عند الشيخ عبد العزيز الثعالبي وأبعاده الوطنية والقومية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مجلة دورية دولية محكمة، ع 19.

10) محمد بوطيبي، نضال الشيخ عبد العزيز الثعالبي في الحزب الحر الدستوري ما بين (1920_ 1934)، مجلة الباحث للعلوم الرياضية والاجتماعية، مج 04، ع 7، جامعة الجلفة.

11) محمد شبوب، تطور الاتجاه الاستقلالي في الجزائر من 1926 إلى 1936، مجلة عصور، ع 26، 27 جويلية، ديسمبر 2015.

12) محمد عبد الرحمان مؤنس، الشيخ عبد العزيز الثعالبي والنخبة السياسية والعسكرية في مصر، (1924_1937)، صحيفة الشورى، مج 55، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة، 2021.

13) هبة علي حسين، دور النخبة السياسية والمتحف السياسي في التحول الديمقراطي، العراق، مجلة حمورابي، العدد 28/27، السنة السادسة، 2012.

14) هشام صاغور، النخب السياسية، دراسة مفاهيمية على ضوء النظريات المفسرة، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والانسانية، مج 5، ع 1، المركز الجامعي، غليزان، جوان 2019.

ثامنا- الرسائل الجامعية:

1) أحمد طرفاوي، عبد العزيز الثعالبي وبعض قضايا فكره من خلال مؤلفاته 1875_ 1944، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر 2، 2012.
2) أم الخير بان، الجاليات الأوروبية في تونس وموقفها من الحركة الوطنية التونسية (1881-1956)، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه، تخصص تاريخ بلاد المغرب المعاصر، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، 2021.
3) رابح فلاحي، جامع الزيتونة الحركة الإسلامية في الجزائر (1908_1954)، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2007.
4) رضا ميموني، دور الوطنيين المغاربة في حركة تحرير تونس والجزائر من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2012.
5) رمضان عثماني، الأسس التاريخية والمنطلقات الفكرية للنخبة الجزائرية ودورها في الحركة الوطنية (1919-1954)، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2020/2019.
6) شايب قدادرة، الحزب الدستوري التونسي الجديد وحزب الشعب الجزائري (1934_1954) دراسة مقارنة أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007.
7) كمال بيرم، بلدية المسيلة المختلطة دراسة اقتصادية واجتماعية بين 1884- 1945، مذكرة ماجستير تخصص تاريخ وحضارات البحر المتوسط، جامعة منتوري قسنطينة،2006.
8) يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري التونسي (1919_ 1934)، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، غير منشورة ، 1986.

تاسعا- الكتابات والمقالات الالكترونية:

1) ابتهال مبروك، التنمية السياسية، الرابط: https://political-encyclopedia.org، 2021/09/17.
2) أميرة مصطفى، مفهوم وخصائص النخبة السياسية، الرابط:
https://democraticac.de/?p=61677، 10يوليو 2019.
3) سعادة علي، كيف شكلت "ثورة البراق" الوعي العربي والفلسطيني؟، الرابط:
https://arabi21.com/story/1293014، 14 أوت 2020.
4) فتحي قاسمي، الشيخ عبد الثعالبي طليعة نضالية تونسية أهملها التاريخ، الرابط:
https://www.turkpress.co/node/69764 ، 2020_03_16.

5) محمد شعبان أيوب، أمين الحسيني حين تعاون مفتشي القدس مع هتلر وموسو ليني، الرابط:
https://www.aljazeera.net/midan/intellect/history/2019/3/5/%D8%A3%D9%85%D9%8A
% ، 08:56، 2022/05/16.

الملخص:

اشتمل موضوع دراستنا هذا على فكر النخب السياسية الوطنية المغاربية التي كان لها دور فعال في التصدي للعدو الفرنسي، وذلك من خلال النهضة الفكرية التي شهدها المغرب العربي عامة والجزائر وتونس بصفة خاصة مطلع القرن العشرين.

كما أشرنا في هذا السياق في بداية بحثنا إلى مجموعة من المصطلحات التي اعتبرناها كمفاتيح لهذا البحث تقرّب القارئ إلى فهم طبيعة الموضوع. كما بينا عوامل ظهور هذه النخب السياسية في الجزائر وتونس التي سعت لبعث اليقظة في البلدين من جديد، فتلاحم هذه العوامل هو الذي أعطى صبغة لهذه النخب التي تمثل الشعبين الجزائري والتونسي وقدمنا نموذجين كبيرين من هذه النخب السياسية والفكرية يتمثلان في شخصيتين بارزتين في التاريخ المعاصر للمغرب العربي وهما: مصالي الحاج في الجزائر، وعبد العزيز الثعالبي في تونس، فتطرقنا إلى الحديث عن حياتهما ودورهما الفكري من أجل التغيير ونشر الوعي واليقظة في أواسط الجماهير ومحاربة المستعمر الفرنسي وظلمه واستغلاله، بحيث مهد نضالهم الدؤوب الطريق للأجيال القادمة للسعي نحو الاستقلال.

الكلمات المفتاحية: الفكر الوطني، النخب السياسية، مصالي الحاج، عبد العزيز الثعالبي.

Summary:

The subject of our study focused on the ideology of the Maghreb's national political elite, which played a significant role in confronting the French enemy through an intellectual revival that occurred in the Arab Maghreb, particularly in Algeria and Tunisia, at the beginning of the twentieth century. In this context, we introduced key terms at the beginning of our research to help the reader understand the nature of the topic. We also highlighted the factors that contributed to the emergence of these political elites in Algeria and Tunisia, as they sought to revive awareness in both countries. The convergence of these factors gave a distinct character to these elites, representing the Algerian and Tunisian peoples. We presented two prominent examples of these political and intellectual elites: Messali Hadj in Algeria and Abdul-Aziz Thâalbi in Tunisia. We discussed their lives and intellectual contributions towards promoting change, spreading awareness, and fighting against French colonial oppression and exploitation. Their relentless struggle paved the way for future generations to strive for independence.

Key words: National thought, political elite, Messali Hadj, Abdul-Aziz Thâalbi.

تم بحمد الله